السلم الاسرائيلي المسلّح
في
أساسه وأهدافه

دكتور
كميل حبيب

السلم الاسرائيلي المسلّح
في
أساسه وأهدافه

تقديم
الدكتور خضر خضر

2002

المؤسسة الحديثة للكتاب

طرابلس – لبنان

المؤسسة الحديثة للكتاب
طرابلس – لبنان

هاتف : 06/385469 – 06/424233 – 03/239338
هاتف وفاكس : 06/424233

جميع الحقوق محفوظة

الغلاف من تصميم
السيدة وفاء سعود سركيس

الاهداء

الى ولديَّ جاد ومجد

علّ جيلهما يحقق النصر

المحتويات

		الصفحة
الاهداء		**5**
تقديم	: الدكتور خضر خضر	**9**
المقدمة		**17**

القسم الاول
أسس السلم الاسرائيلي المسلح

الفصل الاول	**: القواعد المؤسسة للفكر الاستراتيجي الاسرائيلي وتنظيم الدولة :**	**22**
	1. الصهيونية	23
	2. التنظيم السياسي للدولة	32
	3. طبيعة المجتمع الاسرائيلي	40
الفصل الثاني	**: صنع القرار والفكر المؤسساتي:**	**50**
	1. المنظمة الصهيونية العالمية	50
	2. الوكالة اليهودية	54
	3. المؤتمر اليهودي العالمي	58
	4. الهستدروت	62
	5. الحاخامات	64
الفصل الثالث	**: قدرات اسرائيل الاستراتيجية وغير العسكرية :**	**70**
	1. الانتشار اليهودي العالمي (دياسبورا)	70
	2. التطور العلمي والتكنولوجي	74
	3. العلاقات المميزة الاميركية – الاسرائيلية	80

القسم الثاني
أهداف السلم الاسرائيلي المسلح

		الصفحة
الفصل الرابع	**: اسرائيل دولة الارهاب :**	**103**
	1. البعد النظري لمفهوم الارهاب	104
	2. اسرائيل دولة الارهاب	110
	3. ممارسات اسرائيل الارهابية	115
الفصل الخامس	**: دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية !:**	**125**
	1. جيش الدفاع الاسرائيلي	127
	2. المبدأ العسكري الاسرائيلي	130
	3. دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية !	135
الفصل السادس	**: التسوية الصعبة والسلام المستحيل :**	**143**
	1. التسوية الصعبة	146
	2. السلام المستحيل	155
خاتمة		**171**
مصادر ومراجع		**181**

تقديم :
الدكتور خضر خضر

تتمحور الفكرة المركزية في هذا الكتاب حول القواعد والاسس التي تستند اليها الحركة الصهيونية في تنفيذ مخططاتها الدولية والاقليمية للإمساك بمقدرات العالم السياسية والاقتصادية والاعلامية، وتكريس وجودها اللاشرعي في فلسطين، وضمان استمرار توسعها على حساب الامة العربية .

واذا كان يبدو للبعض بأن المعلومات الواردة في هذه الدراسات قد اصحبت معروفة من قبل الباحثين والدارسين المتتبعين لتطورات وتداعيات النزاع العربي – الاسرائيلي منذ وعد بلفور في عام 1917 وحتى اليوم، فان قيمتها المنهجية تكمن، برأينا، في امرين اساسيين :

الاول : أنها تأتي في زمن التهافت العربي على الاستسلام الذي تبديه معظم الانظمة القائمة على امتداد مساحات هذا الوطن، لتذكرنا بما يجب علينا القيام به لمواجهة مخططات العدو، ومقاومتها حفاظاً على وجود الامة، وكرامتها، واستقلالها .

والثاني : في ذلك التركيز العلمي الدقيق على العلاقة القائمة بين الايديولوجية الدينية التي تجعل من اليهود والكيان الصهيوني قومية دينية اصلاً، وبين المؤسسات التي يتحرك من خلالها هذا الشعب لتحقيق اهدافه التلمودية المستندة الى رؤية خاصة لمفاهيم الدين والتاريخ .

فالصهيونية العالمية قلبت هذين المفهومين رأساً َ على عقب، وبدّلت جوهرهما واستخدمتهما كوسيلة في نهب ثروات العالم والسيطرة على مقدراته . اذ ان الدين في الفكر الصهويني لا يعد تلك العلاقة القائمة بين الانسان وخالقه، الرامية الى تحقيق خير البشرية واصلاح المجتمعات وتقدمها على اساس مبادئ العدالة، والمساواة، والتسامح، والسلام، وانما يصبح هبة خاصة من يهوه الاله التوراتي «لشعبه المختار»، دون غيره من الامم، لا بل انه يجعل من هذه الاخيرة مسخرة لخدمة مآرب هؤلاء القوم الذين اختصهم بغايته المتميزة .

وكما الدين، كذلك التاريخ الذي يتوقف عن دراسة الانسان، والتفتيش عن اسباب وقوانين المسيرة العامة لحضارة البشر، والاستفادة من عبر الماضي في تحصين المستقبل، ليصبح حصراً تلك الدراسة الخاصة بمملكة اورشليم القديمة، والتأكيد على حتمية العودة الى ارض الميعاد، وبناء اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل .

اي بمعنى آخر ان الصهيونية اوقفت مسار الدين والتاريخ عند حدود رؤيتها الذاتية، ومنعتهما عن بقية شعوب العالم، واستولت على تراث المنطقة السامية – العربية لترفعه سلاحاً بوجه من يعارض مخططاتها، مثلما سرقت المخزون الحضاري لأمتنا لتزعم امام العالم اجمع بأنها كانت في اساس وصلب تطور الانسانية . ومع ان الصهيونية ادركت من خلال تجارب التاريخ بأن الشعوب الاخرى لا يمكن ان تتخلى عن ذاكرتها الثقافية، وانها تمتلك حساً وطنياً، وكرامة ذاتية يدفعانها باستمرار، لرفض ممارساتها في نهب ثرواتها ومحاولات الهيمنة عليها، الا انها عملت دائماً، وبكل الوسائل، على تصوير اليهود بأنهم كانوا ضحايا لظلم تاريخي وقع عليهم بسبب حالة العداء السائدة تجاه العرق السامي الذي ينتمون اليه . وراحت تستغل بعض المواقف الناشئة في عدة مجتمعات اوروبية ضد سلوك اليهود المنافي لأبسط المبادئ والقيم الاجتماعية والانسانية، لتحاول ابتزاز هذه المجتمعات واخضاعها لإرادتها الخاصة .

وقد لخّص تيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية، أفكاره في هذا المجال على الشكل التالي :

«منع تذويب اليهود في المجتمعات الاوروبية، وتحويل المسألة اليهودية من دينية الى قومية، والتأكيد على تمايز اليهود كعرق عن بقية الامم الأخرى»، مؤكداً بأن «معاداة اليهود واضطهادهم عبر العصور هي التي حولّتهم الى شعب ووحدت في ما بينهم، وانه لا حل لمشكلة العداء للسامية الا اذا تمكن اليهود من انشاء دولتهم الخاصة بهم» . (الفصل الاول : صفحة 23 - 24) .

والغريب في الامر ان هذه الافكار لا تزال على حالها من الديمومة والحداثة بعد مرور اكثر من قرن على نشرها . فإسرائيل لا

تزال تلعب دور الضحية، وتستخدم، يومياً، مقولة عداء العرب الساميين لها لتبرر ما تنزله بهم من صنوف العدوان والتنكيل، وخاصة في صفوف الشعب الفلسطيني . وتحاول تبرير ترسانتها العسكرية الكبرى من اسلحة الدمار الشامل بسبب وجودها ضمن غابة من «الوحوش العربية» المتاهبة دوماً للانقضاض عليها، واضطرارها، نظراً لذلك، للدفاع عن نفسها بشتى الوسائل .

وهكذا تقوم اسرائيل، وعلى مدار الساعات والايام، بقتل الاطفال والنساء والشيوخ، واغتيال المناضلين الاحرار، وتهديم البيوت، وجرف الاراضي في مختلف ارجاء الضفة والقطاع تحت سمع العالم وبصره، وبدون ان يعلو بالمقابل، صوت صادق يمنعها من الاستمرار في بطشها وغيّها .

ورائدها في ذلك تلك المساندة المطلقة التي تحظى بها من الولايات المتحدة الاميركية التي تدأب على اتهام العرب والفلسطينيين المقاومين للاحتلال الصهيوني بالارهاب، وتطالب الانظمة العربية بالقضاء على «الارهابيين» واجتثاثهم من جذورهم، والا... فالويل ثم الويل لمن يخالف هذه الارادة السنية . والواقع، ان اسرائيل ما كانت لتتمكن من التأثير على السياسة الاميركية بهذا الشكل لولا ذلك «اللوبي» الصهيوني المؤثر في قلب المجتمع والنظام الاميركيين، والذي يمتلك ما يكفي من وسائل النفوذ المادية لتطويع السياسة المذكورة على هواه . وهذا ما يحاول المؤلف كشفه لنا في الفصلين الثاني والثالث من كتابه . فالمنظمة الصهيونية العالمية، والوكالة اليهودية، والمؤتمر اليهودي العالمي هي مؤسسات فاعلة في تأطير «الدياسبورا» وتوجيه حركتها ونشاطها في سبيل هدف واحد هو دعم اسرائيل بكل الوسائل، والطاقات، وتمكينها من الهيمنة الشاملة على المشرق العربي .

وعلى هذا الاساس كان لا بد من ارساء قواعد تنظيم الدولة العبرية على اسس خاصة تسمح لها بالتحول الى قاعدة عسكرية كبرى يتم الانطلاق منها في حروب عدوانية، وعمليات ارهابية مستمرة على جيرانها من العرب لمنعهم من الاستقرار والنمو الاقتصادي،

والتفكير في يوم من الايام بتحقيق وحدتهم الطبيعية، او على الاقل تجسيد نوع من التضامن الحقيقي في علاقاتهم المتبادلة لمواجهة الاخطار الخارجية المحدقة بهم . وتمت عسكرة المجتمع الاسرائيلي وتقسيماته المدنية (الكيبوتزات) في اطار تمويه كامل من المؤسسات السياسية ذات المسحة الديموقراطية لكسب تعاطف الغرب ودعمه . فسيطرة الطبقة العسكرية «على القرارات السياسية الكبرى، لا سيما تلك المتعلقة منها بقضايا الامن القومي والدفاع» جلية للعيان ولا تحتاج للكثير من النقاش او الجدل . ومردّ ذلك يعود، كما يقول المؤلف في الفصل الخامس «الى تحول الجيش الاسرائيلي الى جزء لا يتجزأ من الحياة العامة والسياسية في اسرائيل بسبب الخدمة العسكرية الالزامية التي تطال كل المواطنين، واستيعاب مؤسسات ومصانع الجيش لخمس اليد العاملة، وتحول معظم قادته، بعد تقاعدهم، الى العمل السياسي». (صفحة129 -130).

وتبرز عسكرة المجتمع الاسرائيلي، بشكل واضح، على المستوى السياسي . فالانقسامات التقليدية بين تيارات اليمين (الموالية لليكود) وتيارات اليسار (الموالية للعمل) لا تعدو كونها نزاعات جانبية على مراكز الحكم، وليس لاجراء تحولات جذرية في بنية المجتمع السياسي والمدني باتجاه السلام او في مواقف وسياسة الدولة الخارجية. ويشكل تاريخ النزاع العربي – الاسرائيلي دليلاً صارخاً على هذا الصعيد . فحروب اسرائيل المتتالية ضد العرب كانت، على السواء، من صنع الحزبين دون اي اختلاف يذكر في التفاصيل . وفي كل مرة تدق فيها نواقيس الحرب الاسرائيلية ضد اي بلد عربي يسارع قادة الحزبين المذكورين للتحالف في جبهة عسكرية وحكومية واحدة متناسين خلافاتهم الشكلية في سبيل الاهداف التي يسعون لتحقيقها .

من هنا، فان القول باستعداد حزب العمل لتحقيق السلام مع العرب اكثر من الليكود لا يخرج عن اطار الوهم الذي لا يستند الى اي اساس واقعي . فالحزبان هما وجهان لعملة واحدة هي : تنفيذ المخططات الصهيونية بكل تفاصيلها وبشتى الوسائل اللاإخلاقية.

ويكشف الدكتور كميل حبيب عن حقيقة اسرائيل الارهابية التي يتجاهلها اولئك اللاهثون وراء الاستسلام لارادتها من بعض الحكام العرب، وبانها دولة بنيت على حقد تاريخي دفين تجاه الامة العربية، وما تمثله من قيم اخلاقية، وانسانية نبيلة . فالاسرائيليون لا يزالون يعيشون عقدة الاسر البابلي على يد نبوخذ نصر منذ القرن السادس قبل الميلاد . ويستذكرون معاركهم الخاسرة في شبه الجزيرة العربية مع بداية الدعوة الاسلامية ليسوغوا عملياتهم الانتقامية والارهابية امام المجتمع الغربي الداعم والمؤيد لهم . وهم يغلفون حقدهم هذا باطار ديني قائم على تعصب اعمى لا ينتمي الى اي نظام طبيعي او اخلاقي . وليس ادل على ما نقول سوى تلك الشراسة التي مارستها الدولة العبرية خلال عقدين من الزمن في جنوب لبنان، والهمجية البالغة التي تتفنّن في اظهارها يومياً داخل الاراضي المحتلة لقمع انتفاضة الكرامة العربية في فلسطين .

ويخلص المؤلف الى القول بأن البديل للاستسلام لارادة العدو هو قيام العرب باستخدام ما لديهم من قوة سياسية واقتصادية لمنع اسرائيل من الاستمرار في ارهابها وتسلطها، واجبار الغرب ومعه الولايات المتحدة الاميركية على التوقف عن الكيل بمكيالين دونما اي اعتبار لرغبات الشعوب وحقها بتجسيد هويتها الوطنية على ارضها الشرعية . **فالقوة عندما تتحقق في الوعي تصبح المادة الوحيدة القادرة على الفعل والتأثير .** وهي موجودة اصلاً في الذات العربية، انما يجب توجيهها لخدمة ارادة الامة وما تؤمن به من اهداف . وقد اثبتت المقاومة الوطنية والاسلامية في جنوب لبنان عمق دينامية هذه القوة في الوعي العربي الملتزم وقدرتها، ليس فقط على بذل ارفع درجات التضحية، وانما ايضاً على دحر العدو واجباره على الانسحاب والتقهقر.

ويستنتج الدكتور كميل حبيب بأنه اذا ما كان صراعنا مع اسرائيل غير متساوٍ وغير متوازن القوى في هذه المرحلة، فان ذلك يعود الى تجاهل الانظمة العربية القائمة لامرين اساسيين هما الهوية والنظام . **فالهوية القومية ليست في الجوهر سوى الوحدة في**

الاستمرارية . وهي وحدة يمكن قيامها في التعددية والتنوع اذا ما كانت مرتبطة بانتظامية الحركةواستقرار قوانينها، اي بالعلاقة المتناغمة المحددة من قبل الامة، بين الاهداف والوسائل المطلوبة لتحقيقها . وكل حركة، قومية كانت ام وطنية، تفتقر الى الحد الادنى المطلوب من الانسجام بين الاهداف والوسائل، لا بد من ان تقع في فوضى شاملة تؤدي الى هدر الكرامة وخسران المبادئ والقيم، كما هو حال واقعنا العربي المأساوي في هذه المرحلة . وما ينقص بعض حكامنا اليوم هو تلك الرؤية العقلانية للنظام التي تسمح بتحويله من اداة، تقيّد حركة الجماهير وتعيق تقدمها، الى منهج علمي يتصدى لمكامن الخلل القائمة في البنى الاجتماعية والسياسية، واطلاق طاقاتها المكبوتة.

وقد آن لنا ان نحسم خياراتنا، وان ندرك بأن اسرائيل، الدولة العنصرية، الارهابية، لا يمكن ان تقبل في اي يوم من الايام بتوقيع سلام حقيقي، عادل وشامل، مع الدول العربية . وأنّى لها ان تفكر في ذلك وقد وضعت اولى قدميها في ارض النيل عبر اتفاقيات كامب دايفيد، والقدم الثانية في ارض الفرات بعد توقيع التحالف الاستراتيجي مع تركيا . أليس السلام المتساوي الذي يحقق الامن والنمو لكل شعوب المنطقة هو نهاية حتمية لحلمها التاريخي في اقامة دولتها الكبرى ؟ .

ان قوانين الصراع التي فرضتها اسرائيل علينا ليست ثابتة وسرمدية. وهي ناجمة عن فعل قوة لا تواجهها قوة موازية لها . ولذا فاننا لن نستطيع رسم حدود مصيرنا الا عن طريق الاستخدام المنظم لكامل مواردنا وثرواتنا. وهذه مسألة لا يمكن ان تتحقق الا من خلال توحيد ارادة الامة والوصول بها الى الحرية الكاملة . والحرية، في نهاية المطاف، هي ذلك الموقف الفعلي والخلاّق الذي يقودنا الى تقديم واجباتنا على مصالحنا، ويدفعنا للتضحية بحياتنا في سبيل قضايانا العادلة . فقوة السلاح لا تواجهها وتتفوق عليها سوى قوة ذلك الانسان المؤمن بأن المعاهدات والاتفاقيات اللامتكافئة لا تصنع

السلام، وان ارادة الحياة هي وحدها القادرة على تحقيق السلام المطلوب، بعد الانتصار الكلي في هذا الصراع المستمر.

دكتور خضر خضر

مقدمة

ليس بجديد القول ان هناك اشكالية تواجه المحلل لطبيعة ولتطورات الصراع العربي – الاسرائيلي وتتمثل بألعوامل التالية:

أولاً: استحالة فهم ما يجري اليوم على الساحة الفلسطينية دون العودة الى قراءة جذور الصراع العربي – الاسرائيلي الذي بدأ حقيقة منذ اواخر القرن التاسع عشر. وانه لمن الاهمية للباحث ان يعود الى قراءة التاريخ كمخزون للمعرفة حتى تتكون لديه مقولات وافكار تحكم منهجية عمله في محاولته لاستشراف آفاق المستقبل.

ثانياً: تعتبر المسألة الفلسطينية من اكثر الازمات الدولية تعقيداً، وأطولها زمناً، واعظمها مأساة. وقد يلحظ المراقب لمنطقة الشرق الاوسط مدى تشعب التدخلات وتقاطع القضايا. ففي كل يوم تصدر بيانات عديدة من عواصم القرار الدولي، فيبدو للوهلة الاولى وكأن المسألة الفلسطينية تعني دول العالم قاطبة لارتباطها العضوي بقضايا النفط والتجارة وسباق التسلح. وانه لمن الصعب الاحاطة دفعة واحدة بكل ما يعني منطقة الشرق الاوسط من تدخلات سياسية واقتصادية وعسكرية، أخذين بعين الاعتبار تبدل المواقف تبعاً لتغيير مصالح الدول المعنية بالنزاع.

ثالثاً: المسألة الفلسطينية، وان كانت مسألة سياسية، فلا يمكن تجريدها من بعدها الانساني. فالمخطط الصهيوني هو مخطط جهنمي، دمّر وقتل وهجر سكان الارض الاصليين حتى حقق اهدافه في جمع اليهود على ارض فلسطين. وبجانب المأساة الفلسطينية تحملت بعض الشعوب العربية وزر تلك القضية. فمن اجل فلسطين احتلت الجولان، وبسبب فلسطين عانى لبنان وباء حرب اهلية طاحنة احتلت خلالها ارضه ودمر اقتصاده. وباسم فلسطين حصلت انقلابات، واكتشفت "مؤامرات"، وانتهكت حقوق الانسان العربي في الحرية والديمقراطية والحياة الآمنة. وعليه، فمن الصعوبة على الكاتب الملتزم بقضايا امته ان يكون محايداً، او ان يقف على مسافة متوازية بين القاهر والمقهور، والمغتصِب والمغتصَب، والجلاد والضحية.

لا يمثل هذا الكتاب قراءة تاريخية لما جرى ويجري من احداث في منطقة الشرق الاوسط ، بل يمكن اعتباره محاولة لتسليط الضوء على اهم القواعد والاسس التي ترتكز عليها اسرائيل لتحقيق اطماعها غير المحدودة في العالم العربي. فبعد احتلالها لارض فلسطين، بدأت تل ابيب عملية شرعنة وجودها عبر اتفاقات عديدة عقدتها مع منظمة التحرير الفلسطينية، لتطل على العالم بمشروع الشرق اوسطية الاقتصادي والتكنولوجي الذي يجعل من الدول العربية سوقاً استهلاكية للمنتجات الاسرائيلية، مع الاستمرار في انتهاج سياسة الارهاب المنظم ضد الشعب الفلسطيني.

ينقسم هذا الكتاب الى قسمين رئيسين: القسم الاول يبحث في اسس السلم الاسرائيلي المسلح انطلاقاً من الفكر الاستراتيجي، والنهج المؤسساتي، والقدرات الاستراتيجية العسكرية وغير العسكرية. اما القسم الثاني فيعالج اهداف السلم العبري عبر قراءتنا للمؤشرات التالية: الارهاب المنظم الذي مارسته تل ابيب، الدور المحتمل للجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية، واهداف اسرائيل من عملية التسوية في الشرق الاوسط.

وعلى الرغم من وجود آراء متعددة تبشر بالسلام في الشرق الاوسط، فإن هذا الكتاب يطرح مقولة استمرار الصراع حتى تتحقق هزيمة العدو الصهيوني النهائية، اي انهاء وجوده وتفكيك دولته. فاسرائيل ليست دولة كباقي دول العالم تحترم الشرائع الدولية وتنصاع لمبادئ القانون الدولي، بل هي أسيرة عقيدة تلمودية تبيح لها قتل العرب ونهب ثرواتهم، ولا تخرج عنها قيد أنملة. وللوصول إلى هدف مواجهة المخططات الاسرائيلية التوسعية والعدوانية، لابد من حشد طاقات الأمة في الميادين كافة ، بما يكفل لها تحقيق ألنصر وإعاد ة الحق السليب إلى أصحابه الشرعيين.

• • •

أتقدم بالشكر من دولة نائب رئيس مجلس الوزراء ، الاستاذ عصام فارس ، الذي إحتضن هذا العمل ولم يتوان عن تشجيعي حتى إتمامه. ويأتي كل ذلك في سياق اهتمام دولة الرئيس فارس بنشر الوعي الوطني كمدخل الى التنمية الشاملة التي يحتاجها لبنان ويتطلع الى تحقيقها

اللبنانيون. كما اشكر الدكتور خضر خضر الذي اطَّلع على مضمون هذا الكتاب وابدى ملاحظاته القيمة عليه ، وقد شرَّفني بوضع تقديم له. وإنني اذ اتوجه بامتناني إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا الكتاب ، اقدّم اعتذاري عن أي خطأ او تقصير لم يتم تداركه ، او التنبه له ، آملاً ان يحقق هذا الكتاب هدفه في تسليط الضوء على حقيقة وطبيعة الصراع العربي – الصهيوني ومستقبله.

القسم الاول

أسس السلم الاسرائيلي المسلح

الفصل الاول:
القواعد المؤسسة للفكر الاستراتيجي الاسرئيلي وتنظيم الدولة

ان كلمة استراتيجيا تعني في الاصل حيلة او خطة او تدبير. ومنذ بيريكليس راحت الاستراتيجيا تقيم الصلة بين الموارد المدنية والعسكرية الموضوعة في خدمة السلطة السياسية، بغية قيام هذه الاخيرة بمهماتها والوصول الى اهدافها. فالسلطة لا بد لها من خطة واضحة تحدد فيها الافكار الكبرى التي يتوجب عليها تحقيقها، لما فيه مصلحة المجتمع الذي تحكمه دون عوائق كبرى تمنعها من ذلك. لذا، تجد نفسها، في حال بروز عوامل تعيق او تؤخر تنفيذها، مضطرة لاتباع السبل الكفيلة تذليل مثل هذه العقبات.

والاستراتيجيا هي نقيض الارتجال والعفوية وتشكل درجة عليا من الفكر المنظم وتنطلق في جوهرها من الطموحات الكبرى للجماعة. لذا فيجب ان تتجنب دائماً الفشل، لتحقق درجة معينة من النجاح الذي لا يمكن ان يتم الا بواسطة العقل القادر على توقع الاشياء، ورسم طرق التعاطي معها بوضوح. ومهما يكن من امر، فان ما تجدر الاشارة اليه هو ان الاستراتيجية، التي قال عنها فوكو بانها "مجموع الطرق المستخدمة لحرمان الخصم من وسائل المعركة واجباره على التخلي عن الصراع"، تخضع بالضرورة لاعتبارات ذاتية وموضوعية. وهذا ما نراه واضحاً في الاستراتيجية على الصعيد الخارجي.

والاستراتيجية متلازمة مع التكتيك الذي هو مجموعة الوسائل الموصلة الى الهدف الكبير. ولهذه الوسائل اشكال عديدة يمكن ان تتراوح بين الاقناع، والمساومة، والتهديد، واستخدام العنف. وهي وسائل تطبق في ظروف معينة حسب الاوضاع التي تمر بها القضية المطروحة بطريقة سليمة. ودون هذا الحد الادنى لا يمكن التوصل الى
نتيجة ايجابية. (1)

اخيراً، يبدو ان الطريقة الفضلى لتعريف مصطلح استراتيجيا تتبع من خلال التمييز بينها وبين التكتيك. فالتكتيك عبارة عن ادوات ووسائل متعددة توظف في خدمة الاهداف السياسية الكبرى للدولة. ففي حالة الحرب، مثلاً، توظف الدولة سلاح الجو كتكتيك يهدف الى خدمة اهداف الحرب الاستراتيجية.

هذا الفصل يعالج القواعد المؤَّسسة للفكر الاستراتيجي لدولة اسرائيل، وفيه نسلط الضوء على الفكر الصهيوني، والصهيونية الاستيطانية، المبدأ العسكري الاسرائيلي، التنظيم السياسي للدولة الاسرائيلية، وطبيعة المجتمع الاسرائيلي.

. . .

الصهيونية:

يعود تأسيس الحركة الصهيونية الى تيودور هرتزل (1904-1860)،وقد التحق بجامعة فيينا، وحصل على دكتوراه في القانون الروماني عام1884. ثم مارس المحاماة لمدة عام، ولكنه فضل ان يكرس حياته للادب والتأليف. وفي عام 1885 نشر موجزاً لافكاره في صحيفة جويش كرونيكل تحت عنوان : "دولة اليهود: مُحاوَلةً لحل عصري للمسألة اليهودية."وقد وصف كتيبه هذا بأنه ليس حلاً وحسب، وانما هو "الحل الوحيد".

ويمكننا تلخيص افكار هرتزل على النحو التالي:

1. ان تذويب اليهود في اوروبا امر غير واقعي على الاطلاق.
2. ان المسألة اليهودية ليست مسألة دينية او اجتماعية وحسب، وانما هي مسألة قومية.
3. اليهود عرق مستقل، وبان معاداة اليهود واضطهادهم عبر العصور هي التي حولتهم الى شعب. (2) ويقول هرتزل في هذا الصدد: "هكذا علّمنا اعداؤنا سواء رغبنا في ذلك ام لم نرغب. فمصيبتنا تربطنا، وتوحدنا".

4. ان لا حل لحالة العداء للسامية الا اذا تمكن اليهود ان يشكلوا دولتهم الخاصة بهم. (3)

ان من حق الانسان العربي، ان يتعرف على الفكر الصهيوني بشكل دقيق وواضح، خاصةً، اننا امام مرحلة تشهد انتقال الصراع في الشرق الاوسط من الجبهة الى الجامعة. فقديماً كان المثقف العربي يعول في فهمه للصهيونية على ثلاثة عوامل رئيسة: الديني والسياسي والدولي.هذه العوامل مجتمعة تخلص الى تحديد سبع خصائص امتازت بها الصهيونية عن غيرها من الحركات السياسية، ويمكن إيجازها على الشكل التالي:

1. تأكيد الصهاينة بأن هناك وحدة ازلية لليهود، ويخلصون في هذا الى ان الدولة الصهيونية في فلسطين امر منطقي وحتمي.
2. يؤمن الصهاينة بان اليهود شعب واحد، ولا بدَّ ان يقوى الوعي اليهودي، للمحافظة على وحدة هذا الشعب و هويته وتلاحمه الكامل وعدم انتمائه للشعوب او الاوطان الاخرى.
3. يصر الصهاينة على استخدام كلمة "يهود" للاشارة الى اعضاء الجماعات اليهودية كافة، كما لو كانوا كلاً واحداً متماسكاً وخالصاً يتمتعون بنقاء عرقي وحضاري واثني. وهكذا يتحدث الصهاينة عن "فن يهودي" و"ازياء يهودية" بل و "لغات يهودية تجسد كلها خصوصية يهودية مطلقة لا علاقة لها بالتشكيلات الحضارية المختلفة.
4. يدَّعي الصهاينة ان فلسطين التي يطلقون عليها مصطلح "ارتس يسرائيل" او "اسرائيل الكبرى" او"ارض الميعاد"، او ما شابه ذلك من مصطلحات دينية اخرى، هي مركز الوجدان اليهودي، والنقطة التي يتجه اليها اليهود معنوياً عندما يعجزون عن الاستيطان فيها، وهي الارض التي "يعودون" اليها فعلياً بمحض ارادتهم من المنفى او الشتات

حيث تفتح ابوابها لهم.

5. ينكر الفكر الصهيوني واقع الجماعات اليهودية الفسيفسائي الجيولوجي التراكمي، ويطرح فكرة الهوية اليهودية العالمية الواحدة.
6. تُقصر الكتابات الصهيونية الكلام على الاعتداءات التي يتعرض لها اعضاء الجماعات اليهودية باعتبار انها امر فريد يحدث لهم وحدهم، وانها تعبير عن كره ازلي لليهود.
7. الصهيونية هي محاولة لتطبيق مقولات الفكر الرومانسي القومي العنصري على اليهودي. وقد تأثر معظم المفكرين الصهاينة بفلسفة نيتشه وافكاره عن القوة واخلاق العبيد والانسان الاعلى او الاسمى. والحقيقة أن الصهاينة وجدوا في مقولة نيتشه حول السوبرمان او الانسان الخارق توصيفاً مشابهاً لفكرة الشعب المختار الخاصة بأليهود وحدهم.

بشكل عام، يتميز الاستيطان الصهيوني عن كل مشاريع الاستيطان في العصر الحديث، بانه استيطان احلالي اجلائي يحل المستوطنين محل ابناء الوطن، فيتم تبديل السكان وتبديل الهوية. ومصطلح الصهيونية الاستيطانية يستخدم عادة للاشارة الى ان الاستيطان هو جوهر الصهيونية. وهذا النوع من الاستعمار ليس كلاسيكيا، بمعنى، انه لا يأخذ شكل جيش يقهر جيش دولة اخرى، أو يحتل ارضاً ليستغل امكاناتها الاقتصادية والبشرية لصالح البلد الغازي وحسب، وانما ياخذ شكل انتقال الفائض البشري اليهودي من اوطان مختلفة الى فلسطين للاستيلاء ٠عليها وطرد سكانها الاصليين والحلول محلهم. ويمكننا اعتبار جوزف ترومبلدور وديفيد بن غوريون من اهم قادة الصهيونية الاستيطانية قبل عام 1948، اما بعد ذلك فقيادات الاستيطان هي قيادات المستوطن الصهيوني. (4)

تنطلق الحركة الصهيونية، من ان اليهود شعب واحد بلا ارض، وان فلسطين ارض بلا شعب. ومن ثم يرى الصهاينة ان فلسطين هي

المسرح الذي يتحقق فيه المشروع الصهيوني، وانها في واقع الامر ملك الشعب اليهودي سواء كان يشغلها الفلسطينيون ام لا. ويمكن القول بان الاهداف والسمات الاساسية للاستيطان الصهيوني هي ما يلي:

1. يهدف الاستيطان الصهيوني الى ان تحل الكتلة البشرية الصهيونية الواحدة محل السكان الاصليين .
2. حددت منظمة الهاغانا جوهر الاستراتيجية الاستيطانية عندما اكدت عام 1943، أنَّ الاستيطان ليس هدفاً في حد ذاته، وانما هو وسيلة للاستيلاء السياسي على البلد، أي فلسطين. وقد استمرت هذه السياسة بعد عام 1948، كعنصر اساسي ثابت في الاستراتيجية الصهيونية. لذا يمكن القول بان الاستيطان هو نفسه التوسع الصهيوني، ولا يوجد أي فاصل بينهما.
3. ثمة، سمة بنيوية، ثالثة يتسم بها الاستيطان الصهيوني وهي انه ليس مشروعا اقتصاديا وحسب وانما هو مشروع عسكري استراتيجي، لا يخضع لمعايير الجدوى الاقتصادية، ولا بدَّ ان يموّل من يهود الشتات.
4. يتسم الاستيطان الصهيوني بانه استيطان جماعي عسكري بسبب الهاجس الامني، ولانّ المستوطنين يرفضون الاندماج في المحيط الحضاري الجديد الذي انتقلوا اليه .

(5)

من الناحية العسكرية، اعلن ايغال الون ان الاستيطان "مهم جدا وأنّ المستوطنات ترسم حدود دولة اسرائيل. فبدون المستوطنات لا يمكن الدفاع عن الوطن حتى ولو ضاعفنا عديد الجيش".(6) ويمكننا ملاحظة البعد العسكري للاستيطان على النحو التالي:

1. تشارك المستوطنات في عملية البناء العسكري الدفاعي، وخصوصاً فيما يتعلق بحماية الحدود الخارجية.
2. تشكل المستوطنات قواعدَ للفرق المسلحة ومراكزَ لانطلاقها خارج اراضي اسرائيل، لتحقيق المزيد من التوسع الاقليمي.

3. المستوطنات في واقع الامر مستودع للقوى البشرية المدربة عسكرياً واللازمة للقوات المسلحة.
4. بعد ضم المناطق الجديدة تقوم المستوطنات بملء الفراغ وخلق الوجود المادي السكاني لها.
5. ان الاستيطان الصهيوني هو مشروع لا يمكن تنفيذه الا بالعنف. (7)

ان وضع هذه الرؤية الاسطورية موضع التنفيذ لم يكن امرا سهلا، اذ ان المستوطنين الصهاينة حلوا في ارض لا يعرفونها، وهي مأهولة بالسكان. لقد رأى هرتزل منذ البداية اهمية تنظيم هجرة اليهود بعد اجراء مفاوضات بهذا الشأن مع الدول الاوروبية الكبرى. وأكدَّ لتلك الدول ان نقل الشعب المنبوذ هو الحل، وبيّن لها منافع الحل الصهيوني المطروح. بالنسبة للدولة الراعية، ستكون الهجرة هجرة الفقراء وحسب، ولن تؤثر على اقتصادها. كما ان الخروج سيتم تدريجياً، دون أي تعكير. وذكر هرتزل بشيء من التفصيل الثمن الذي سيدفعه اليهود للدول الرأسمالية:"ان اهم منافع الصهيونية انها ستحول المادة البشرية اليهودية الى عملاء "للدولة الغربية مانحة السيادة". وسوف يكون لهذا الحل، برأي هرتزل، تأثير في العالم المتحضر (الغربي) بأسره، "فيقام هناك (في فلسطين) جدار أو سياج لحماية اوروبا واسيا، يكون بمنزلة حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية". (8)

وضع هرتزل افكاره موضع التنفيذ، وعقد المؤتمر الصهيوني الاول عام 1897 في مدينة بال السويسرية. ولم يكن هناك من خيار، بعد تحديد الاطر النظرية والتنظيمية، من تأسيس الاداة التنفيذية التي تتولى تحقيق الاهداف الصهيونية التي جسدها برنامج بال وتكون في الوقت نفسه بمثابة هيئة رسمية تمثل الصهاينة في مفاوضاتها مع الدول الاستعمارية آنذاك، من اجل استمالة احداها لتبني المشروع الصهيوني. ولهذه الاهداف تأسست المنظمة الصهيونية كاطار يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج

بال المذكور. وقد انيطت بالمنظمة مهمة اقامة الدولة الصهيونية لتحقيق خلاص يهود العالم اجمع، وانتخب هرتزل اول رئيس للمنظمة.

بعد ذلك، اتسع نشاط المنظمة الصهيونية حيث عملت على انشاء عدد من المؤسسات المالية لتمويل المشروع الصهيوني، وكان ابرز هذه المؤسسات:

1. صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار، وقد تأسس عام 1899 لتمويل النشاطات الصهيونية الاستيطانية في فلسطين، ولتدبير الموارد المالية التي تحتاج اليها الحركة الصهيونية.
2. الصندوق القومي اليهودي، وقد تأسس عام 1901 بهدف توفير الاموال اللازمة لشراء الاراضي في فلسطين لصالح المستوطنين الصهاينة.

وتجدر الاشارة انه لم يكن ثمة استيطان يهودي في فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية. فاعضاء الجماعات اليهودية الذين لم يتجاوز عددهم25 الفا كانوا يقطنون التجمعات المدنية، وخاصة في مدن القدس وطبرية وصفد، وقد استقروا في فلسطين لاسباب دينية لا علاقة لها بالمشروع الصهيوني الاستعماري. ومع ذلك، فقد بدأت حركة الاستيطان الزراعي عام 1878 عندما تمكنت مجموعة من يهود القدس من تأسيس مستوطنة بتاح تكفا. بعد ذلك وحتى عام 1897 تم تأسيس 26 مستوطنة يهودية على يد حركة احباء صهيون. ولقد بلغت مساحة تلك المستوطنات نحو 200 الف دونم كما بلغ مجموع سكانها آنذاك حوالي 4900 نسمة. اخيرا، مع انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني عام 1898 تم اقرار قانون المنظمة الصهيونية العالمية التي تولت تسهيل الهجرات اليهودية ودعمها مادياً عبر الصندوق القومي اليهودي. وهكذا، مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914بلغ عدد المستوطنات 47 مستوطنة يقطنها 12000 يهودي. (9)

بعد صدور وعد بلفور عام 1917 دخل الاستيطان الاستعماري الصهيوني مرحلته الذهبية. حيث، يلحظ O'Brian انه في عام 1925 بلغ معدل هجرة اليهود السنوية الى فلسطين حوالي 3300 مهاجر. غير ان وصول هتلر الى السلطة في المانيا عام 1933 قد سرّع من هجرة اليهود بشكل مطرد بحيث وصل عددهم الى ما يقارب ال 225000 شخص عشية نشوب الحرب العالمية الثانية. ومع اعلان قيام دولة اسرائيل عام 1948 كان قد بلغ عدد المستوطنين اليهود 650000 شخص يمثلون ثلث سكان فلسطين. (10)

بين حربي 1948 و1967 ترافق تدفقُ اليهود المستوطنين مع تهجيرمئات الالاف من الفلسطينيين وتشريدهم. اضف الى ذلك، ان السلطات الاسرائيلية اصدرت عددا من القوانين الهادفة الى اضفاء الشرعية على الاحتلال الذي تم بفعل القوة العسكرية. واهم تلك القوانين:

1. قانون املاك الغائبين المتروكة (1950) الذي اتاح للحكومة الاسرائيلية الاستيلاء على الاراضي التي هجرها سكانها اللاجئون ثم النازحون الذين تم ارهابهم واجلاؤهم عن اراضيهم.
2. قانون استملاك الاراضي (1952) .
3. قانون التصرف (1953) الذي اتاح للحكومة الاسرائيلية الحصول على الاراضي التي لم يمكّنها القانون الاول من الاستيلاء عليها تحت دعوى طلبها لاغراض الدفاع والتوطين اذا لم يتصرف صاحب الارض المطلوبة فعلياً فيها.
4. قانون مرور الزمن (1957) . (11)

بعد حرب حزيران عام 1967 بدات فوراً عملية استيطان الضفة الغربية وقطاع غزة. ولتسهيل الاستيطان في المناطق المحتلة حديثاً، اصدر الحاكم العسكري عددا من القوانين التي تحظر على الفلسطينيين الذين لا يقيمون في الضفة وغزة حالياً من وراثة الارض، ووجوب

مصادقته على جميع صفقات الاراضي، وإمكان تبليغ العرب من أصحاب الاراضي بمصادرة ملكياتهم هذه، شفوياً وبدون أي مسوّغ قانوني أو إنذار رسمي يشرح أسباب هذه المصادرة ويبررها. (12) وكانت نتيجة كل هذه القرارات ان وصل عدد المستوطنات الجديدة بين 1967 و1977 الى 22 مستوطنة انشأتها الوية تابعة للحركات الاستيطانية العمالية. اضف الى ذلك ان نجاح حزب الليكود سنة 1977 في الانتخابات العامة وتشكيله للحكومة، ادى الى دفعة قوية للاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان السورية، وكانت نتيجتها ازدياد عدد المستوطنين في الفترة 1977–1981 الى 400 في المئة؛ وفي الفترة 1981 –1986 بنحو 277 في المئة. وقد استندت خطة الاستيطان هذه الى مشروع اريل شارون الهادف الى ضرورة تثبيت العمق الاستراتيجي من اجل وضع نظام دفاعي اقليمي مكوّن من المستوطنات المحيطة بحدود اسرائيل في كل الاراضي المحتلة عام 1967 باعتبارها مختلفة عن المستوطنات التي اقيمت لاسباب دينية واقتصادية. (13)

من جهة اخرى، لم يحل عقد مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الاوسط سنة 1991 والاتفاقات الاسرائيلية – الفلسطينية التي تلته دون استمرار النشاط الاستيطاني. فقد ارتفع عدد المستوطنين الجدد في عهد حكومة تجمع العمل بين عام 1992 و1996 من حوالي مئة الف الى حوالي 156 الف مستوطن. وتشير بعض التقديرات الى ان عدد المستوطنين في الضفة والقطاع سوف يتجاوز 310,000 مستوطن عام 2020. اما خطورة هذا الاستيطان الذي حصل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، فتكمن في انه جدد حيوية الكيان الصهيوني، وحقق له نموا اقتصاديا وانخفاضا في البطالة، وعزز القاعدة التكنولوجية المتقدمة بالطاقة البشرية المؤهلة علمياً. ويشرح وكيل وزير الاستيعاب الاسرائيلي، يائير تسابان، اسباب هذه الظاهرة فيقول: " ان تأثير الهجرة كان اشبه بالمعجزة، اذ اتاح لنا تشكيل راس مال بشري خارق،" موضحاً " أن بين القادمين 50 ألف مهندس ،و10 آلاف باحث علمي ، و14 ألف طبيب." ويضيف : " وعلى رغم أن بعضهم اضطرالى قبول وظيفة لا تتناسب

ومؤهلاته لعدم توافر وظائف في مجال إختصاصه، فإن مستواهم العلمي يفوق بكثير متوسط مستوى الاسرائيليين الاصليين." (14) ولقد أدى كل ذلك إلى خفض البطالة ورفع نسبة النمو في الناتج المحلي الاجمالي .

يستدل من كل ما تقدم ان الهجرة الاستيطانية اليهودية هي مصل الحياة للكيان الاسرائيلي الصهيوني. ولا يوجد زعيم اسرائيلي واحد يدعو الى توقف عملية استمرار الهجرة الى اسرائيل. ففي محاضرة القاها عام 1993، دعا شيمون بيريس كل يهود روسيا (مليون وستمئة الف) والالاف من الفلاشا للرحيل الى اسرائيل. وأبدى عازر وايزمن "استغرابه لقدرة بعض اليهود على العيش في المانيا" فدعاهم الى الهجرة فورا الى اسرائيل. (15) هكذا نلاحظ انه منذ المؤتمر الصهيوني الاول عام 1897 وحتى اليوم، لا تزال الهجرة الاستيطانية الى فلسطين جوهر وجود الصهيونية.

ان الاهمية الاستراتيجية للمستوطنات يمكن ملاحظتها على النحو التالي:

1. تهيئة الفرصة لوجود عسكري اسرائيلي دائم، سواء أكان من خلال قوات الجيش الرئيسية أم عن طريق الاستعانة بمستوطنين مسلحين تابعين لهذه القوات.
2. ان تكون المستوطنات رأس جسر لكسب مزيد من الاراضي.
3. خلق الحقائق الاستيطانية الجديدة في الاراضي المحتلة بحيث تصبح العودة الى حدود الرابع من حزيران عام 1967 مستحيلة.

وهكذا نستطيع القول، بان مفهوم الاستيطان هو عملية استراتيجية لاستمرار انجاز رؤية احياء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين كاقليم يدّعي الصهاينة ان لهم حقا تاريخيا موروثا فيه. فاسرائيل لا تزال تسعى حتى يومنا هذا الى تثبيت دعائم الاستيطان وتوسيعه في الضفة الغربية والقدس والجولان وقطاع غزة لفرض الامر الواقع على العرب... "

انها التوسعية الاسرائيلية ". وهكذا، الانسحاب من الضفة والقطاع تم استبداله بمقولة اعادة الانتشار العسكري بحجة حماية المستوطنات. لكن اذا كانت المستوطنات تخدم الاستراتيجية العسكرية الصهيونية، فالعكس ايضا صحيح : فالمؤسسة العسكرية تخدم المستوطنات.

• • •

التنظيم السياسي للدولة:

يعتبر النظامُ السياسيُّ الاسرائيليُ برلمانياً ديمقراطياً، مبنياً على تعدد الاحزاب. وفي غياب دستور مكتوب للحكم، فإن اسرائيل تُحكم بمجموعة من "القوانين الاساسية" التي اقرها الكنيست والتي لا يجوز تغييرها او ابطالها الا باغلبية خاصة وغير عادية. وبحلول سنة 1985، اعتمدت اسرائيل عدة قوانين اساسية، اهمها: العودة (1950)، الجنسية (1956)، الكنيست (1958)، ارض اسرائيل (1960)، رئيس الدولة (1964)، الحكومة (1968) ، اقتصاد الدولة (1975) ، الجيش (1976)، القدس (1980)، والقضاء (1984). وعلى الرغم من ان وثيقة قيام الدولة حددت مطلع تشرين الاول من عام 1948 كموعد اقصى لوضع الدستور، فان ذلك لم يحدث. ويمكننا ايجاز الاسباب على النحو التالي:

1. فشل الاحزاب السياسية في تقديم برنامج دستوري شامل يحل محل التنظيم المؤقت للدولة. (16)
2. الخلاف الذي نشب بين المؤيدين والمعارضين لوضع دستور دائم للدولة. فقد رأى مؤيدو وضع الدستور ان الدستور الدائم يعطي الكيان صفة الدولة العادية والطبيعية ويدعم استقرار نظامها السياسي، ويحول دون اغتصاب السلطة من قبل القوات المسلحة عبر تطبيق مبدأ فصل السلطات. اما معارضو وضع الدستور فقد تراوحوا بين من يعتبر الشريعة اليهودية دستور اسرائيل الدائم، وبين من كانوا يرون الدستور قيدا على حركتهم السياسية وتطلعاتهم المستقبلية مثل ديفيد بن غوريون الذي صرح بان الدستور يجب الا يوضع قبل هجرة من تبقى من يهود العالم وقبل ان تأخذ اسرائيل وضعها النهائي.

3. اخيرا، ان عدم وضع دستور للكيان الصهيوني يعتبر اكثر ملائمة للقادة الصهاينة اذ يتيح لهم استصدار ما يناسبهم من قرارات، وتكييف القوانين باستمرار، حسب حاجات الكيان الصهيوني بواسطة الكنيست الذي يتمتعون فيه بالاغلبية، نظراً لوجود بعض النواب العرب ، وتالياً يتفادون المشاكل التي تتعلق بهوية الدولة والانقسامات الداخلية المتناقضة. (17)

يقوم نظام الحكم في اسرائيل على ثلاثة اعمدة هي: رئيس الدولة ، السلطة التشريعية (الكنيست)، والسلطة التنفيذية.

ينتخب رئيس الدولة من قبل الكنيست لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة. وعليه، فانه يعود للكنيست وحده امر محاكمة، او اقالة، او انتخاب رئيس جديد. ورئيس الدولة لا يملك اية صلاحيات تنفيذية. مثال على ذلك، لا يحق لرئيس الدولة حضور جلسات مجلس الوزراء، او الاعتراض على التشريعات التي يصدرها الكنيست، ولا حتى حق مغادرة البلاد دون موافقة الحكومة. باختصار، فان صلاحيات الرئيس الاسرائيلي هي احتفائية أو تشريفية . صحيح انه يوقع على المعاهدات ويعيّن الدبلوماسيين والقضاة ويقبل السفراء الاجانب، لكن كل هذه الصلاحيات يمارسها رئيس الدولة فقط بعد موافقة الحكومة عليها او اقرارها من جانب الكنيست. (18) وهكذا يبقى الرئيس الاسرائيلي رمز الدولة والمشرف عليها دون ان يتدخل في أي نزاع مع السلطات الاخرى.

السلطة التنفيذية هي فعلياً بيد مجلس الوزراء، الجهة الوحيدة المخولة تسيير شؤون الدولة. لكنه لا يملك صلاحية حل الكنيست. اضف الى ذلك، ان بقاء الحكومة او عدم بقائها في الحكم يترافق مع نهاية ولاية الكنيست، او عندما يقدم رئيس الحكومة استقالته، أو يحجب الكنيست الثقة عن الحكومة. ومع ذلك، تتمتع الحكومة بصلاحيات واسعة وفرها لها القانون او الممارسة اليومية للحكم. فالحكومة هي التي تتخذ القرارات

المباشرة فيما يخص الشؤون الداخلية والخارجية والاقتصادية والاجتماعية. وتفصيلا، تملك الحكومة الصلاحيات التالية:

1. تحدد السياسات الداخلية والخارجية.
2. تتقدم بمراسيم القوانين الى الكنيست.
3. ترسم الاحكام العامة لتنفيذ القوانين.
4. توقع المعاهدات مع الجهات الاجنبية دون العودة الى الكنيست.
5. تصدر قرار الحرب. (19)

ورغم خضوع الحكومة نظريا للكنيست، فانها واقعيا تسيطر او تملك قوة القرار، لان الحكومة المنبثقة عن الكنيست هي التي تمثل عادةً الاغلبية البرلمانية. ورئيس الوزراء يتمتع بمكانة مرموقة ومتقدمة في النظام السياسي. فحتى انتخابات عام 1996، كانت مهمة تأليف الحكومة وترؤسها تناط باحد اعضاء الكنيست الذي يسميه رئيس الدولة في ضوء انتخابات الكنيست، والذي يعتبر الأوفر حظاً بتأليف حكومة ائتلافية قادرة على الاستمرار في الحكم. لكن هذه الممارسة، ساهمت في اعطاء الاحزاب الصغيرة شأنا كبيرا لا تستحقه. ففي مقابل تأييدها للائتلاف الحكومي الجديد، كانت هذه الاحزاب تفرض على رئيس الحكومة مطالب وشروط لا تتلاءم وحجمها العددي. ومن اجل منع حدوث ذلك، اقر الكنيست في سنة 1992 قانونا يقضي بانتخاب رئيس الحكومة مباشرة من الشعب. (20) وعليه، ففي الانتخابات التشريعية العامة التي جرت في 28 ايار 1996 قام الناخب الاسرائيلي بعمليتي اقتراع في الوقت نفسه. فإلى جانب ادلائه بصوته للحزب الذي يختاره لتمثيله في الكنيست، ادلى الناخب بصوته في انتخاب رئيس الحكومة.

هذا القانون زاد في قوة رئيس الوزراء. فبانتخاب رئيس الوزراء مباشرة من قبل الشعب أصبحت عملية اجباره على ترك منصبه مستحيلة الا بعد اجراء انتخابات عامة جديدة، او بعد موافقة ثلثي اعضاء الكنيست على خلعه من منصبه، وهو نصاب من الصعب جداً ان تلتقي عليه

الاحزاب الممثلة في الكنيست. هذا، ويتبع مكتب رئيس الوزراء مكتب خدمات الامن الذي تتمثل فيه فروع الاستخبارات الرئيسية المدنية والعسكرية ويرأسه رئيس الموساد الذي يقدم تقاريره مباشرة الى رئيس الحكومة. اضافة الى كل ذلك، فقد جرت العادة ان يشرك رئيس الحكومة عددا قليلا من وزرائه في صنع القرارات الهامة. وهؤلاء الوزراء يسمون بمجلس الوزراء المصغر(المطبخ الوزاري او Kitchen Cabinet) والذي يشترك فيه عادة وزراء المالية والدفاع والخارجية.

يعتبر القانونُ الانتخابي إحدى الخصائص المميزة للنظام السياسي الاسرائيلي. فيتم انتخاب اعضاء الكنيست عبر انتخابات عامة شاملة ومباشرة وسرية ونسبية. وتجري الانتخابات مرة كل اربع سنوات، وحق الانتخاب مكفول للمواطنين كافةً والذين بلغوا الثامنة عشرة وما فوق. وبما ان الانتخابات تجري على اساس قوائم مرشحين تدرج اسماؤهم الواحد تلو الاخر، فان الناخب يصوت عملياً للقائمة باكملها ولا يحق له تشطيب اسماء بعض المرشحين او تقديم بعضهم على البعض الاخر. فالناخب يدلي بصوته لقائمة المرشحين هذه او تلك عبر بطاقة تحمل رمز هذه القائمة او تلك، وليس اسماء مرشحيها.

كما سبق واشرنا، فان نتائج الانتخابات تتبع القاعدة النسبية. فكل قائمة مرشحين تحصل على نسبة 1% كحد ادنى من مجموع اصوات الذين شاركوا في الاقتراع، يصبح لها الحق في المشاركة في توزيع مقاعد الكنيست البالغة 120 مقعدا. ويتم كل ذلك بعد احتساب الاصوات الصالحة من مجموع الذين ادلوا بأصواتهم واستخراج عدد الاصوات اللازمة للفوز بمقعد واحد عبر تقسيم الاصوات الصالحة على عدد مقاعد الكنيست. وعلى اساس هذا المقياس يتم توزيع المقاعد بين القوائم المختلفة. اما ما تبقى من مقاعد لم تُوَزّعْ بعد، فتتوزع على القوائم وفقاً لحجم فائض الاصوات لدى كل منها.

واخيرا، بالنسبة للنفقات على الحملة الانتخابية، فإنه يعطى لكل حزب مخصصات من الخزينة لتمويل حملته الانتخابية بمعدل "وحدة مالية" مقطوعة او معدة لكل مقعد حصل عليه في الانتخابات السابقة. ولا يمكن للحزب ان يتلقى أي تمويل على الاطلاق من هيئة تجارية او شركة مساهمة او شريك في مصلحة تجارية او حتى من أي شخص لا يحق له الاقتراع في الانتخابات.(21)

هذا القانون الانتخابي يفيد الاحزاب الكبيرة، كما انه يشجع على تعدد الاحزاب وتكاثرها. ويفرض هذا القانون بشكل خاص، على الاحزاب ان تقدم برامجها واولوياتها للناخبين خلال الحملات الانتخابية. ويجب التذكير هنا، بان الانتخابات الاسرائيلية لا تؤثر على اهداف اسرائيل الاستراتيجية التي تبقى فوق الاعتبارات الانتخابية. وإنَّ اهمية قانون الانتخابات تبرز في كونه يمنع على أي حزب ان يحصل على اكثرية المقاعد ليحكم بمفرده. بمعنى آخر، لقد وفر قانون الانتخابات لاسرائيل ان تحكمها حكومات ائتلافية تضم كل واحدة منها عدداً من الاحزاب. فعلى سبيل المثال، ان حركة العمال تضم مجموعة من الاحزاب الاشتراكية، نذكر منها: Mapam, Mapai وRafi وAhdut Haavoda. اما تجمع الليكود فيضم Prograssive Party و The General Zionist Party وHerut. كما يضم اليمين الراديكالي كلا من جوش ايمونيم ومنظمة كاخ، وهما حركتان اصوليتان دينيتان متطرفتان.

هذا وقد عرفت اسرائيل في تاريخها ثلاث حكومات وحدة وطنية في اعوام 1967، 1984 و1988 على قاعدة المشاركة في الحكم بين العمل والليكود. وللاحزاب الاسرائيلية خصائص عديدة نوجزها على النحو التالي:

1. الاحزاب الاسرائيلية هي مؤسسات استيطانية استيعابية اسست الدولة وليست احزابا توجد داخل الدولة.
2. الاحزاب الاسرائيلية تنتمي الى معسكرين اساسيين : المعسكر اليميني المتشدد، والمعسكر العمالي الذي يتسم بدرجة اعلى من البراجماتية تؤهله للتعامل بشكل اكثر كفاءة

مع بعض الحكومات العربية.

3. تتسم الاحزاب الاسرائيلية بانها احزاب ذات صبغة مركزية واضحة وانها احزاب " اوليجاركية " تحكمها قلة رغم ما يبدو فيها من آليات واجراءات ديمقراطية.
4. النظام الحزبي الاسرائيلي، رغم الكثير من التباينات في وجهات النظر بين معظم أطرافه، يدور بأسره داخل اطار الاجماع الصهيوني والصيغة الصهيونية الاساسية الشاملة، والايمان بأن الحركة الصهيونية هي حركة تحرر قومي لبعث القومية اليهودية وتحقيق حلم الشعب اليهودي في العودة الى صهيون.
5. الاحزاب الاسرائيلية هي احزاب أثنية بحيث يلاحظ دعم اليهود الغربيين (الاشكنازي) لتجمع العمل، بينما يؤيد اليهود الشرقيين (السفارديم) تجمع الليكود. (22)

لا بد من الاشارة الى ان الكنيست يلعب دورا هامشيا في تحديد السياسة الخارجية للدولة. المثال على ذلك، ان المعاهدات لا تحتاج الى تصديق الكنيست، اذ انها تعلن وتنشر من قبل الحكومة في مهلة اقصاها عشرون يوماً بعد توقيعها. ان دور الكنيست في السياسة الخارجية ينحصر فقط في عمل اللجان البرلمانية. حيث تقوم هذه اللجان بعقد اجتماعاتها في سرية تامة، وتحقق في المسائل المطروحة، وتنشر تقاريرها عن اعمال الحكومة. اما لجنة الشؤون الخارجية والامن فتلعب دوراً تشريعيا واداريا هاما فيما يتعلق بالعلاقات الدولية والقوات المسلحة. مثالاً على ذلك، اذا كان تحرك القوات المسلحة لم يحظ بموافقة لجنة الشؤون الخارجية والامن خلال عشرة ايام، او اذا لم توافق اللجنة على تحرك القوات المسلحة خلال شهرين، فإنه يلغى امر التحرك ويعود الجنود الى ثكناتهم. وعلى كل حال، فان المبدأ الدستوري القائل بان الكنيست "سيد نفسه" قد اجهض من قبل الحكومة التي تتحكم بالكنيست وبجدول اعماله عن طريق الانضباط الحزبي.

وفوق كل هذا وذاك ترعى السلطة القضائية تطبيق القانون الذي ينظم عمل المؤسسات السياسية المكونة للدولة. وتتشكل هذه السلطة من المحاكم الدينية والمدنية، وترأسها المحكمة العليا صاحبة النفوذ البارز والاستقلالية الواضحة. فالمحاكم الدينية، وان كانت تحظى بدعم الدولة، الا انها تعمل على اساس تشريعاتها الروحية فيما يعود لامور الاحوال الشخصية. اما المحاكم المدنية الخاصة فانها تتعاطى في الشؤون المدنية، العسكرية، والادارية. وهناك ايضا المحاكم العامة التي تشرف على اعمال المحاكم الخاصة وتتعاطى في كل الشؤون التي لا تقع في نطاق صلاحيات هذه الاخيرة.

كل هذه المحاكم المدنية تخضع تراتبيا لسلطة المحكمة العليا المؤلفة من تسعة قضاة. وفي الاصل لم تكن المحكمة العليا تشرف على امور ملاءمةالقوانين. لكن في عام 1969 اصدرت المحكمة العليا قرارا يعلن بان قانون تمويل الحملات الانتخابية يتعارض مع مبدأ المساواة المنصوص عليه في القانون الاساسي للكنيست الصادر عام 1958. وعليه، وبناء على قرار المحكمة العليا، فقدعدّل الكنيست قانون تمويل الحملات الانتخابية. واخيراً، تجدر الاشارة الى ان المحكمة العليا تتمتع باستقلالية واضحة وفرتها لها القواعد التالية:

1. تقترح لجنة خاصة اسماء القضاة المرشحين لعضوية المحكمة العليا. وتتألف هذه اللجنة من وزير العدل، وعضوين منتخبين من قبل الكنيست بطريقة الاقتراع السري، وثلاثة قضاة من المحكمة العليا، وشخصين تختارهما نقابة المحامين. تقدم هذه اللجنة إلى رئيس الدولة، اسماء القضاة الذين تقترحهم، للموافقة أو المصادقة على اختيارهم، طبعا بعد مصادقة الكنيست.
2. تحدد لجنة المال في الكنيست رواتب القضاة، ويتقاضى رئيس المحكمة العليا راتبا موازياً لراتب رئيس الحكومة.
3. يتقاعد القاضي عند بلوغه سن السبعين من العمر.

اخيرا، يعتبر الهستدروت، او الاتحاد العام لعمال اسرائيل من اهم القوى الاجتماعية الضاغطة على النظام السياسي. تاريخياً، يدعم الهستدروت تجمع حزب العمل، خاصة اذا علمنا ان حزب Mapai يتحكم بهذا التجمع النقابي الكبير منذ عام 1930. لذلك، وبسبب هذه القوة السياسية والنقابية الداعمة له ، فقد استمر تجمع العمل في الحكم منذ عام 1948 وحتى عام 1977 عندما حصل الزلزال السياسي الكبير بفوز تجمع حزب الليكود في الانتخابات العامة ووصول مناحيم بيغن الى رئاسة الوزراء. ويعزو البعض خسارة تجمع العمل في تلك الانتخابات الى اهتزاز العلاقة بين الهستدروت والحكومة. اما اسباب ذلك الاهتزاز فهي عديدة نذكر منها:

1. الخلافات التي لا مناص منها بين السياسة الحكومية والحركة العمالية.
2. الخلافات بين العمال انفسهم مما اضعف من قوة الهستدروت.
3. الخلافات الشخصية بين الامين العام للهستدروت ووزير المال في السبعينات، Pinhas Sapir. اما السبب الاخر لفوز تجمع حزب الليكود في انتخابات ايار عام 1977 فهو مرتبط بالتغير البنيوي الذي طرأ على طبيعة المجتمع الاسرائيلي.

تجدر الاشارة الى أننا سوف نسلط الضوء وبالتفصيل في الفصل الثاني على دور الهستدروت الاقتصادي والاجتماعي (أي الاستيطاني) والسياسي في مجمل الحياة الاسرائيلية.

. . .

طبيعة المجتمع الاسرائيلي:

بلغ عدد سكان اسرائيل حتى عام 1999 اكثر من ستة ملايين نسمة، بينهم 1,2 مليون من العرب الفلسطينيين اما نسبة الزيادة السكانية العربية فهي اعلى من تلك الاسرائيلية، مما يجعل من اسرائيل دولة ثنائية

القومية على عكس ما ارادته الحركة الصهيونية غداة تأسيسها. والمجتمع في اسرائيل هو عنصري بصورة عامة، على رغم الانقسامات الحاصلة بين الدينيين والعلمانيين، او بين اليهود الشرقيين (السفارديم) واليهود الغربيين (الاشكنازي).

لقد تكونت الدولة الصهيونية عند انشائها من اعضاء ينتمون الى جماعات يهودية كثيرة. ولتبسيط الامر قليلاً، يمكن تقسيمهم الى قسمين اساسيين :

1. اليهود الغربيون: وهؤلاء هم اليهود الذين ينتمون حضارياً الى العالم الغربي بغض النظر عن اصولهم سواء أكانت اشكنازية ام سفاردية. ومن ثم يشار الى جميع المهاجرين من الولايات المتحدة او من الاتحاد السوفياتي بانهم غربيون، وقد يضم اليهم يهود من جورجيا وسفارد من هولندا.
2. اليهود الشرقيون: وهؤلاء يضمون يهود الشرق والعالم الاسلامي والعربي، والجماعات اليهودية المتفرقة.

اما مضمون المصطلحين فهو ثقافي. فيهود جنوب افريقيا، مثلاً، يعتبرون غربيين نظرا لانتمائهم الى الجيب الاستيطاني الابيض. لكن يبدو ان الادبيات الصهيونية تُؤثر استخدام مصطلحي سفاردي واشكنازي على شرقي وغربي. فكلمتا شرقي وغربي كلمتان عامتان، اما مصطلحا سفاردي واشكنازي فهما خاصان ومقصوران على اليهود ومأخوذان من تراثهم اللغوي والديني. (23)

قديما كان السفارد يصرون على الاحتفاظ بمسافة بينهم وبين الاشكناز، الذين كانوا يتسمون بقدر كبير من العزلة والتخلف الحضاريين. واخذت هذه المسافة شكل مؤسسات دينية وتعليمية مستقلة، وحتى الى حد رفض الزواج المختلط من الاشكناز. وفي العصر الحديث، كانت هجرة

افراد الجماعة السفاردية الى الغرب سابقة لتلك التي قام بها افراد من جماعة الاشكنازي. وهكذا، بينما كان السفارد يشغلون في معظم الاحيان قمة الهرم الاقتصادية، خاصة من حيث استثمارهم في المشروعات الاستعمارية الهولندية، بقي الاشكناز من صغار التجار. ولعل هذا ما يفسر بقاء المسألة اليهودية مسألة اشكنازية بالدرجة الاولى. (24)

بدأ صعود الاشكناز عددياً وثقافيا ابتداء من القرن السابع عشر. وكان معظمهم يتحدثون اليديشية التي اختفت بالتدريج مع عشرينات هذا القرن، وبالتالي فهم يتحدثون في الوقت الحاضر لغة البلد الذي يوجدون فيه. ولغتهم الان هي الانكليزية باعتبار ان اغلبيتهم توجد ضمن التشكيل الاستعماري الاستيطاني. واذا كانت المسألة اليهودية مسألة اشكنازية، كما اشرنا سابقا، فان الصهيونية هي الاخرى حركة اشكنازية. فقد كان المؤتمر الصهيوني الاول يضم وفودا اشكنازية في الدرجة الاولى. حتى النخبة الحاكمة في اسرائيل والمؤسسات الاساسية، مثل الكيبوتز، لا تزال كلها اشكنازية. واذا كان حزب العمل يضغط من اجل هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل فإن ذلك ، ليس بتلبية للحاجة الى مادة بشرية قتالية، وانما أيضاً للحاجه الملحة الى مادة اشكنازية لتوازن العنصر الشرقي السفاردي، بعد ان انخفض عدد اليهود الغربيين الى اقل من النصف. (25) عندما اصبحت نسبة السفارديم تشكل 55 في المئة من اليهود الاسرائليين في منتصف السبعينات حيث فاز تجمع الليكود بزعامة مناحيم بيغن في انتخابات ايار عام 1977. اضف الى ذلك ان الصهيونية، أي القومية اليهودية، قد فشلت في صهر السفارديم والاشكنازي في بوتقة واحدة. ففي التسعينات من القرن العشرين ظهرت في اسرائيل احزاب تعبر عن الانقسام الأثني. فحزب شاس (الديني) يضم افراداً من السفارديم، بينما يضم حزب اسرائيل بعالياه (العلماني) مهاجرين من الاتحاد السوفياتي.

وعلى الرغم من هذا الانقسام الظاهري بين الاشكنازي والسفارديم بقيت الوحدة الداخلية في اسرائيل قوية ومتماسكة. هذه الوحدة فرضتها

عوامل الدين واللغة، واهمية الهجرة والعودة الى صهيون، واولوية الدفاع بوجه الخطر الخارجي، والتزام مطلق بالدفاع عن الوعد التوراتي. ولعّل أفضل ما يدلل على ذلك ما أعلنه ابا ايبان انه لا يجوز التمييز بين القادة الاسرائليين على قاعدة الحمائم والصقور. "فهناك صقور يرتدون ريش الحمائم والعكس بالعكس".(26)

بناء على ما تقدم، يرى Brecher ان الوحدة الوطنية في اسرائيل تعود الى ايمان الاسرائليين بالمقولات التالية:

1. الايمان بالوعد التوراتي بارض فلسطين.
2. اسرائيل وجدت من اجل اليهود وحدهم.
3. العرب كانوا الغزاة لارض اسرائيل لحوالي 1300سنة.
4. هناك علاقة عضوية بين مصير يهود الشتات ودولة اسرائيل.
5. ان الخلافات التي تبرز بين الحين والاخر بين القادة الاسرائيليين ليست على الهدف الاستراتيجي الصهيوني، وانما خلافات في الاسلوب المتراوح بين الحسم والتردد في اتخاذ القرار، التطرف او المساومة، المرونة او التصلب في المواقف. (27)

اخيراً، لقد تولدت قناعة عند المراقبين والباحثين في الشؤون الاسرائيلية مفادها ان الاختلاف بين العمل والليكود له جذوره الاجتماعية البحتة بحيث ان اليهود الشرقيين يؤيدون تجمع حزب الليكود واليهود الغربيين يؤيدون تجمع حزب العمل. ويبدو ان تراجع حزب العمل السياسي قد سمح للاحزاب وللحركات الدينية المتطرفة بالتحكم بموازين القوى بين العمل والليكود، وبالتالي تقرير من يحكم دولة اسرائيل.

و تجدر الاشارة إلى ان تشكل الحكومات الائتلافية امر ممكن واحتمال دائم في السياسة الاسرائيلية نظراً لعدم وجود أي خلاف جوهري بين تجمعي العمل والليكود حول ثوابت اسرائيل الاستراتيجية. هذه الثوابت هي :

1. القدس الموحدة هي عاصمة اسرائيل الابدية.
2. رفض الدولة الفلسطينية المستقلة.
3. ابقاء المستوطنات حيث هي في الضفة الغربية.
4. عدم الانسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران عام 1967.

ويظهر التوافق جليا حول هذه الثوابت من خلال مقاربة للبرامج الانتخابية لكل من تجمعي العمل والليكود خلال الحملة الانتخابية التي جرت في ربيع عام 1999.

1. القدس

- العمل : القدس الموحدة هي العاصمة الابدية لاسرائيل. لن نساوم في شأن هذا المبدأ ولن نتخلى عنه.
- الليكود : القدس هي العاصمة الابدية للشعب اليهودي، مدينة واحدة موحدة، غير قابلة للتقسيم ولن نجري اية مفاوضات في شأنها.

2 . الدولة الفلسطينية

- العمل : لن نوافق على تأسيس دولة فلسطينية بقرار من طرف واحد قبل توقيع الاتفاق النهائي. فالدولة الفلسطينية ليست هدفاً اسرائيلياً، ولن تكون كذلك. ومع هذا، واذا اسفر الاتفاق النهائي عن دولة فلسطينية، فيجب ان نتأكد من ان القيود الامنية والسياسية المتفق عليها ليست ضد مصالح اسرائيل.
- الليكود : لن تسمح دولة اسرائيل باقامة دولة عربية فلسطينية غربي نهر الاردن.

3 . المستوطنات

- العمل : وفي أي ترتيبات نتوصل اليها، سيظل معظم المستوطنين المقيمين بشكل كتل استيطانية في المناطق (الضفة الغربية وقطاع غزة) تحت السيطرة الاسرائيلية .

- الليكود : الاستيطان تعبير واضح عن حق شعب اسرائيل غير القابل للنقض في ارض اسرائيل. وهو يشكل رصيداً مهماً للدفاع عن المصالح الحيوية لدولة اسرائيل . وسيعمل الليكود على مواصلة تعزيز الاستيطان وتطويره .

4 . الانسحاب

- العمل : لن نعود إلى حدود سنة 1967 في أي ظرف من الظروف. ولن نساوم، في أيَّ حال، بشأن امن اسرائيل ومواطنيها. وستكون اية ترتيبات امنية نتوصل اليها مشروطة بحدود آمنة وبقدرتنا على حماية البلد وشعبه.طد

- الليكود : لم يلحظ برنامج الليكود أي اشارة واضحة الى امكانية انسحاب اسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران . بل ان البرنامج المذكور تضمن العناوين التالية :

1. ستحافظ اسرائيل على بناها التحتية الحيوية، وعلى رأسها مصادر المياه، وستمنع أي اضرار بمصالحها في هذا المجال.
2. سترفض حكومة الليكود رفضاً تاماً الافكار التي عرضها عدد من قادة حزب العمل بشأن انسحاب اسرائيلي من جزء من النقب وتسليمه إلى الفلسطينيين.
3. ستواصل حكومة العمل تعزيز الاستيطان في الجولان . (28)

• • •

عالج هذا الفصل القواعد المؤسسة للفكر الاستراتيجي الاسرائيلي وكيفية تنظيم الدولة. وانه لمن السهل على الباحث في الشؤون الاسرائيلية ان يلحظ العنصرية التي تقوم عليها دولة اسرائيل، أكان ذلك في الفكر الصهيوني الذي وضعه تيودور هرتزل، أم في سعي تل ابيب الى تثبيت

دعائم الاستيطان وتوسيعه، ام في اية قراءة للمبدأ العسكري الاسرائيلي، ولطبيعة المجتمع ووحدته القائمة على مقولات دينية وسياسية. حتى النظام السياسي الاسرائيلي هو بطبيعة الحال نظام سياسي استيطاني تشكلت خصائصه تحت ضغط متطلبات الاستيطان وتأمين الهجرة والاستيعاب. وبمعنى اكثر دقة، فان الطبيعة الاستيطانية للمجتمع الصهيوني هي المحدد الاساسي لكل الخيارات الاستراتيجية لدولة اسرائيل. وتبرز الطبيعة الاستيطانية العنصرية لهذا النظام على النحو التالي:

1. ان غياب الدستور لتنظيم الحكم قد استخدم في دعم المخططات التوسعية للدولة، واستيعاب جميع الطوائف والانقسامات بين الجماعات اليهودية، علاوة على تكريس العنصرية ضد العرب.
2. ان غياب الدستور قد جعل النظام السياسي متحجرا إلى درجة انه لا يمكن اجراء اصلاحات او تعديلات عليه. اضف الى ذلك ان انبثاق السلطة التنفيذية من الكنيست قد سمح للحكومة بالهيمنة على كل البنية السياسية دون اية قيود دستورية على حركتها. فالحكومة تتمتع بسلطات واسعة للتحكم بالسياسة الخارجية، ولإدارة الازمات، وإصدار مراسيم القوانين التي ترغب بتنفيذها، تماما كما يحصل في الانظمة الدكتاتورية.
3. تاريخيا، كانت كل مؤسسات النظام مؤسسات استيطانية تابعة للوكالة اليهودية قبل عام 1948. فالجمعية المنتخبة تحولت الى الكنيست، واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية اصبحت مجلس الوزراء، وصارت الهاغانا جيش الدفاع الاسرائيلي.
4. نظرا لهيمنة المؤسسة العسكرية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والاداري، يمكن القول بان النظام الاسرائيلي هو نظام عسكري يمارس العنف والارهاب بشكل منظم.
5. يعتمد النظام سياسة التمييز العنصري ضد السكان العرب

الاصليين. ويظهر ذلك جليا من خلال التشريعات التي سهلت الاستيطان وحرمت السكان الفلسطينيين من حقوق المواطنة على اراضيهم.

6. ان القرار في اسرائيل لا تصنعه العوامل الداخلية فقط، بل هو محكوم بشروط ارتباط هذا الكيان بالامبريالية العالمية ومصالحها والدور المطلوب منه في اطار استراتيجيتها على الصعيد الاقليمي والدولي. فوظيفة الديمقراطية الاسرائيلية الشكلية هي اغراء الرأي العام العالمي، وخصوصاً الغربي، لمتابعة الدعم للمشروع الاستيطاني الصهيوني بشكل ينسجم مع الدور الوظيفي المناط باسرائيل في خدمة الامبريالية العالمية.

المراجع

1. خضر خضر، مفاهيم اساسية في علم السياسة، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، 1999، ص، 242–244.
2. كلمة شعب تعني في اللغة الالمانية اين فولك Ein Volk أي شعب واحد.
3. N. Safran, Israel : The Embattled Ally, (Cambridge : The Belknap Press, 1978),p.19.
4. جوزف ترومبلدور (1880-1920) : هو زعيم صهيوني اصبح رمزاً للجيل القديم من الصهاينة الرواد المقاتلين الذين جاءوا الى فلسطين. جُنّد في الجيش الروسي عام 1902 ، وفقد ذراعه اليسرى في الحرب الروسية – اليابانية. في عام 1911 قام بتنظيم مجموعة من الصهاينة في اوكرانيا، وفي عام 1919 سافر الى فلسطين ، وشارك في الدفاع عن المستوطنات الصهيونية في الجليل الاعلى حيث قتل عام 1920 . وحتى اليوم، لا تزال منظمات الشباب الصهيونية ترفعه الى مرتبة المثل الاعلى. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثالث، القاهرة: دار الشروق، 1999 ، ص، 208.
5. الهاغانا كلمة عبرية تعني "الدفاع،" وهي منظمة ارهابية صهيونية استيطانية تأسست عام1920. وعكس نشاط الهاغان الارتباط الوثيق والعضوي بين المؤسسات الصهيونية الاستيطانية والمؤسسات العسكرية والزراعية التي تهدف الى اقتحام الارض والعمل والحراسة والانتاج ، وان كان اهتمامها الاساسي قد انصب على العمل العسكري. وفي عام 1929 ، شاركت الهاغانا في قمع انتفاضة العرب الفلسطينيين، وقامت بالهجوم على المساكن والممتلكات العربية، ونظمت المسيرات لأستفزاز المواطنين العرب وارهابهم. المصدر السابق، المجلد السابع، ص، 60–61.
6. ايغال الون (1918-1980): كان احد قادة منظمة الهاغانا، كما شارك في الحرب العربية – الاسرائيلية الاولى. في عام 1954

انتخب عضواً في الكنيست، وشغل عدة مناصب وزارية نذكر منها : وزارة العمل (1961-1968)، ووزارة التربية والثقافة (1969) ، ووزارة الخارجية (1974-1977).

Z.Schiff, A History of the Israeli Army, (London : Sidgwick and Jackson , 1981) , p.71.

7. عبد الوهاب المسيري، المجلد السابع، ص، 63–64.
8. المصدر السابق، المجلد السادس، ص، 234.
9. N. Safran, Israel : The Embattled Ally, pp.83- 94.
10. C. O'Brian, The Siege : The Saga of Israel and Zionism, (New York : Simon and Schuster, 1981), pp. 110-133.
11. عبد الوهاب المسيري، المجلد السابع، ص، 65.
12. المصدر السابق، ص، 66.
13. راسم خمايسي، "استراتيجيا الاستيطان الاسرائيلي في الاراضي المحتلة واثره في التخطيط القطري والتنمية في فلسطين، "مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 37، شتاء 1999، ص، 46–47.
14. انعام رعد، الصهيونية الشرق اوسطية من هرتزل الى بيريز الى النفق والخطة المعاكسة، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 1997، ص، 74.
15. المصدر السابق، ص، 77.
16. عبد الوهاب المسيري، المجلد السابع، ص، 224.
17. المصدر السابق، ص، 224.
18. N. Safran, Israel : The Embattled Ally, p.132.
19. Brecher, The Foreign Policy System of Israel, (London : Oxford University Press, 1972), p.409-415.
20. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 38، ربيع 1999، ص، 15. تجدر الاشارة إلى أنه في 7 آذار 2001 تبنى الكنيست مشروع قانون يقضي بالغاء انتخاب رئيس الوزراء بالاقتراع العام المباشر وتالياً العودة إلى العمل بالنظام السابق الذي يتولى فيه رئاسة الوزراء زعيم الحزب الذي يفوز بأكثر عدد من المقاعد في

الانتخابات العامة.

21. المصدر السابق، ص، 19. انظر أيضاً مصطفى جمال، هاني عبدالله، ونهاد حشيشو، اسرائيل في ظل حكومة بيغن الثانية، بيروت : معهد الانماء العربي، 1982، ص، 15– 47.
22. عبد الوهاب المسيري، المجلد السابع، ص، 226– 228 .
23. عبد الوهاب المسيري، المجلد الثاني، ص، 121.
24. المصدر السابق، ص، 123.
25. المصدر السابق، ص، 127–128.
26. M. Brecher, The Foreign Policy System of Israel, p.369.
27. المصدر السابق ، ص، 552 .
28. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 39، صيف 1999، ص، 134– 144.

الفصل الثاني:
صنع القرار والفكر المؤسساتي

منذ المؤتمر الصهيوني الاول في بال (سويسرا) والفكر اليهودي يركز على ايجاد المؤسسة (Foundation) بدلاً من مبادرات الافراد. لذلك تطور العمل الصهيوني، ثم الاسرائيلي، من مرحلة ايجاد "المنظمة الصهيونية العالمية" التي تحولت لاحقاً إلى "الوكالة اليهودية" والتي كان دورها تشجيع الاستيطان، إلى "المؤتمر اليهودي العالمي الذي تأسس سنة 1936 ليضم يهود العالم كافةً. بمعنى آخر، صار المؤتمر اليهودي صيغة مرنة تضم المنظمة الصهيونية العالمية وغيرها من التنظيمات المنتشرة في العالم.

ركزت هذه الاطر التنظيمية على تجميع اليهود حول الفكرة الصهيونية، أي تجميع شعب الله المختار في ارض الميعاد، ثم عملت لاحقاً على ربط يهود العالم بدولة اسرائيل، وعلى دعم هذه الدولة سياسياً ومالياً. وتجدر الاشارة إلى انه بعد عام 1967، قرر المؤتمر الصهيوني تقليص صلاحيات المنظمة الصهيونية العالمية لصالح دولة اسرائيل. لذا يبدو منطقياً تسليط الضوء على طبيعة تلك المؤسسات التي ساهمت في تأسيس دولة اسرائيل لما في ذلك من مساهمة في فهم طبيعة القرار السياسي في تلك الدولة.

• • •

المنظمة الصهيونية العالمية:

أُسّست المنظمة الصهيونية العالمية عام 1897 في المؤتمر الصهيوني الاول، وعرّفت عند تأسيسها بأنها الاطار التنظيمي الذي يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج بال ويسددون رسم العضوية. وقد انيطت بها مهمة تحقيق الاهداف الصهيونية التي جسدها مؤتمر بال وعلى رأسها اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين "يضمنه القانون العام" وهي عبارة تعني في واقع الامر:"تضمنه القوى الاستعمارية في الغرب".

وكانت المنظمة بمثابة هيئة رسمية تمثل الحركة الصهيونية في مفاوضاتها مع الدول الاستعمارية الرئيسة آنذاك، من اجل استمالة احداها لتبني المشروع الصهيوني، وكانت اطاراً لتنظيم العلاقة بين الصهاينة الاستيطانيين والصهاينة التوطينيين، أي ان تأسيسها كان بداية انتقال النشاط الصهيوني من مرحلة البداية الجنينية إلى مرحلة العمل المنظم على الصعيد الغربي. (1)

وقد نمت المنظمة الصهيونية خلال سنواتها الاولى. فمع انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عام 1903، بلغ عدد الاعضاء المشاركين فيه 600 عضواً. اما في عام 1946 فقد بلغ عدد الاعضاء اكثر من مليوني عضو.

وقد شهد انتهاء الحرب العالمية الاولى صدور وعد بلفور المشؤوم وبداية حقيقية لتطبيق المشروع الصهيوني في فلسطين بفرض الانتداب البريطاني عليها، وبالتالي بدأ اتخاذ الخطوات لترجمة هذا الوعد على المستوى التنظيمي، فأكملت المنظمة جهازها المالي بانشاء الصندوق التأسيسي الفلسطيني عام 1921 المختص بتمويل نشاطات الهجرة والاستيطان. كما تحولت اللجنة الصهيونية في فلسطين إلى حكومة في طور التكوين قامت بالاشراف على كل شؤون الاستيطان والاقتصاد والثقافة للتجمع الاستيطاني اليهودي في فلسطين. كما أسست المنظمة ساعدها التنفيذي المعروف باسم " الوكالة اليهودية" عام 1922، اذ نص صك الانتداب البريطاني على فلسطين على الاعتراف بوكالة يهودية مناسبة لاسداء المشورة الى سلطات الانتداب في جميع الامور المتعلقة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وفي عام 1929، نجح وايزمن، رئيس المنظمة الصهيونية آنذاك، في اقناع اعضاء المؤتمر الصهيوني السادس عشر بضرورة توسيع الوكالة اليهودية بحيث يتشكل مجلسها من عدد من اعضاء المنظمة وعدد مماثل من غير اعضائها. وكان الغرض من ذلك استمالة اثرياء اليهود التوطينيين لتمويل المشروع الصهيوني دون الزامهم بالانخراط في صفوف المنظمة والايحاء في الوقت نفسه بان

الوكالة تمثل جميع اليهود في العالم ولا تقتصر على اعضاء المنظمة. وقد ظلت المنظمة والوكالة تعرفان بنفس الاسم حتى عام 1971، اذ جرت في ذلك العام عملية شكلية لاعادة التنظيم بحيث اصبحت المنظمتان منفصلتين قانونياً تعمل كل منهما تحت قيادة هيئة خاصة اسماها احدهم "المنظمة ذات الرأسين". ويمكننا ان نستخدم الجزء الاول من الاسم، أي المنظمة الصهيونية العالمية، للاشارة الى نشاط المنظمة بين الجماعات اليهودية في العالم من حيث تجنيدهم لدعم المستوطنين مالياً وسياسياً. اما حينما تكون الاشارة الى الجانب التنفيذي او الاستيطاني، فان عبارة الوكالة اليهودية هي التي تستخدم وحدها.

وعندما تم اعلان الدولة عام 1947، انتقل كثير من الصلاحيات التي كانت من اختصاص المنظمة الى الحكومة الاسرائيلية المؤقتة، مثل الدفاع والداخلية والخارجية والمالية والمواصلات والتجارة والصناعة. وعليه، فقد وصف بن غوريون المنظمة بانها بمنزلة "السقالة" اللازمة لبناء الدولة والتي لم يعد لها لزوم الآن، ولكنه رأى في الوقت نفسه امكانية استخدامها وتوظيفها كأداة طيّعة تسهم في تطويع بقية يهود العالم وتقديم المساعدات السياسية والمالية والبشرية لاسرائيل.

في التسعينات، اصبح وضع المنظمة هامشياً بالنسبة لكل من الدولة الصهيونية والجماعات اليهودية. وليس مصادفة ان المبرر الرسمي الذي يعطى اليوم لبقاء الوكالة اليهودية هو كونها الهيئة الوحيدة القادرة على ان تشكل قناةً لتحويل الاموال من المتبرعين اليهود، وخصوصاً في الولايات المتحدة، الى دولة لا يحق لها جمع مثل هذه التبرعات (اسرائيل).

وقد مر هيكل المنظمة الصهيونية بكثير من التعديلات التي اقتضتها ظروف كل مرحلة، حتى وصل الى وضعه الحالي. اما الهيئات التي تتشكل منها المنظمة فهي التالية:

1. المؤتمر الصهيوني العام: وهو الهيئة العليا للمنظمة.
2. المجلس الصهيوني العام: يتولى مهام المؤتمر في غير اوقات انعقاده ويتخذ كل القرارات اللازمة، ويراقب تنفيذ القرارات التي اتخذها المؤتمر.

3. اللجنة التنفيذية: وعدد اعضائها 25 عضواً في اسرائيل و11 في الولايات المتحدة. وهي مسؤولة امام المؤتمر والمجلس الصهيوني وتقدم لهما تقارير دورية ومقرها الرئيسي في القدس ولها الحق في اقامة فروع لها في الخارج.

هذا وتقوم اللجنة بالمسؤوليات التالية:
أ . تشرف على الارشيف الصهيوني.
ب. تتولى متابعة نشاط المنظمة اليومي والاشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر الصهيوني والمجلس العام.

4. محكمة المؤتمر: ولها الحق في بحث شرعية القرارات الصادرة عن الهيئات الصهيونية المركزية.(2)

هذا، ويمكن القول اخيراً ان المؤتمر الصهيوني هو اعلى سلطة في المنظمة الصهيونية. فهو الذي يقر التشريعات ويتلقى التقارير والمقترحات من اللجنة التنفيذية والمؤسسات الصهيونية المختلفة، ويرسم الخطوط العامة لسياسة المنظمة والمؤسسات التابعة لها، وهو الذي يقرر الميزانية العامة والسياسات المالية وسياسة المنظمة بشأن الهجرة والتعليم اليهودي، وتظل هذه القرارات والسياسات ملزمة للمنظمة الى ان يتم تغييرها في مؤتمر لاحق. هذا، ويتكون المؤتمر الصهيوني من العناصر التالية:

1. الفدرالية الصهيونية القطرية Territorial Zionist Federation، وهي اتحاد يضم افراداً وهيئات ومنظمات وجمعيات محلية ضمن رقعة جغرافية محددة خاضعة للجنة اقليمية عليا في البلد المعني.
2. الاتحاد الصهيوني العالمي Zionist World Union، ويضم منظمات تمثل وجهة نظر حزبية معينة ولها فروع في خمسة بلدان على الاقل. وهذه المنظمات هي:
أ- منظمة مزراحي العمالية.

ب- ارتسينو (اصلاحي).
ج- اللجنة التنفيذية العليا لحركة حيروت.
د- حركة العمل الصهيونية العمالية.
هـ- الاتحاد العمالي لحزب العمال المتحدين - مابام.
و- الكونفدرالية العالمية للصهاينة المتحدين.
ز- الاتحاد العالمي للصهيونيين العماليين.
وهذه الاتحادات تمثل اتجاهات عقائدية مختلفة من اقصى اليمين الى اقصى اليسار، وبعضها يرى نفسه امتداداً للاحزاب الاسرائيلية في الداخل.

3. المنظمات الدولية اليهودية (غير الحزبية) Jewish International Bodies، وهي منظمات يهودية متواجدة في عدة دول مستقلة ومستعدة للقبول ببرنامج القدس. وهذه المنظمات هي:
   أ- المجمع العالمي للمعابد اليهودية والطوائف (اصولي).
   ب- المجلس العالمي للمعابد اليهودية (محافظ).
   ج- الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية (اصلاحي).
   د- الاتحاد السفاردي العالمي.
   هـ- اتحاد مكابي العالمي (منظمة رياضية).
4. منظمة النساء الصهيونية العالمية (24 مندوبة).
5. يَحضُر المؤتمرَ الصهيوني العام ايضاً بعض المندوبين بصفة مراقبين مثل اعضاء اللجنة التنفيذية واعضاء المجلس العام ورؤساء الاتحادات القطرية وممثلي حركات الهجرة.(3)

• • •

الوكالة اليهودية :

هي الساعد التنفيذي (الاستيطاني) للمنظمة الصهيونية منذ عام 1922 في اعقاب صدور وعد بلفور وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين. وقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على اقامة وكالة يهودية تكون بمنزلة هيئة استشارية للادارة وللتعاون معها في المسائل الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة باقامة وطن قومي لليهود وبمصالح

السكان اليهود في فلسطين. واعترف صك الانتداب بالمنظمة الصهيونية على انها هي الوكالة. ومن ثم، فان اسمها يذكر مقروناً باسم المنظمة على هذا النحو: "المنظمة الصهيونية/الوكالة اليهودية"، حيث يشير النصف الاول من المصطلح الى المنظمة الصهيونية في علاقتها بالجماعات اليهودية في العالم وفي نشاطها الايديولوجي والتوطيني، على حين يشير النصف الثاني الى نشاطها الاستيطاني الذي يتعامل مع الواقع الفلسطيني بشكل مباشر.

ولكي تحقق الحركة الصهيونية اهدافها السياسية، كان من الضروري كسب الدعم المادي والسياسي للجماعة اليهودية في العالم، وخصوصاً من قبل اثرياء اليهود في اوروبا والولايات المتحدة. ومن هذا المنطلق سعى حاييم وايزمن الى انشاء وكالة يهودية موسعة تضم تحت لوائها اليهود الصهاينة واليهود غير الصهاينة، وبذلك تكتسب الوكالة الصفة التمثيلية لجميع اليهود وتستطيع التغلغل في اوساطهم وزيادة مواردها المالية. وعليه، ورغم معارضة بعض المتطرفين امثال جابوتنسكي، قرر المؤتمر الصهيوني السادس عشر (1929) انشاء الوكالة اليهودية الموسعة واشراك عناصر يهودية غير صهيونية مناصفة مع الاعضاء الصهاينة يختارون من 26 بلداً (معظمهم من الولايات المتحدة). واصبحت الوكالة والمنظمة منفصلتين من الناحية الشكلية، مع بقاء السيطرة الفعلية داخل الوكالة للعناصر الصهيونية. اخيراً، وفي عام 1947، استقال آخر عضو غير صهيوني من اللجنة التنفيذية للوكالة، ثم اعيد توحيد اللجنتين التنفيذيتين، للوكالة والمنظمة فاصبحتا هيئة واحدة.

من المهام الرئيسية للوكالة اليهودية خلال فترة الانتداب نذكر:

1. تمثيل الحركة الصهيونية ويهود العالم امام سلطات الانتداب وعصبة الامم والحكومة البريطانية.
2. تطوير حجم الهجرة اليهودية الى فلسطين بصورة متزايدة.
3. نشر اللغة العبرية والتراث اليهودي في فلسطين.

ومع ان سلطات الانتداب لم تنظر الى الوكالة على انها شريك في الحكم، الا ان الوكالة تغلغلت في حياة المستوطنين لتشمل نشاطاتها مختلف جوانب حياتهم. وقد نمت الوكالة حتى اصبحت حكومة داخل حكومة الانتداب لا ينقصها سوى عنصر السيادة كي تصبح دولة. وكان لها جيش الهاغانا، وميزانية وجهاز اداري. كما باشرت الوكالة اعمال الحكومات، من السياسة الخارجية وتدريب المهاجرين واعدادهم للهجرة وبناء المستعمرات الزراعية وشراء الاراضي، كما قامت بالدعاية والاحصاء والصناعة والتعليم. وبعد ان انتقلت قيادة المنظمة الصهيونية من لندن الى نيويورك عند انتهاء الحرب العالمية الثانية، أنشئ قسم للوكالة اليهودية في الولايات المتحدة عام 1946 لرعاية مصالحها في اميركا، وخصوصاً للتنسيق والضغط من اجل قرار تقسيم فلسطين عام 1947.

من هنا نرى ان الوكالة تحولت من مجرد هيئة للتعاون مع ادارة الانتداب البريطاني في فلسطين الى هيئة كبرى اوجدت اسرائيل وزرعتها زرعاً في الشرق العربي. وللدلالة فقط نشير إلى انه عند قيام دولة اسرائيل، اصبح المجلس التنفيذي للوكالة مجلس الوزراء، كما ان جهازها الاداري اصبح جهاز الحكومة، ورئيسها بن غوريون اصبح رئيساً لمجلس الوزراء، وسكرتيرها موشي شاريت اصبح وزيراً للخارجية، وهكذا.

وبعد قيام اسرائيل، تخلت الوكالة عن بعض مهامها للدولة الجديدة. وقد اصدر الكنيست عام 1952 قانوناً حدد بموجبه وضع الوكالة باعتبارها وكالة مفوضة تابعة للدولة يقتصر نشاطها داخل اسرائيل على الاستيطان، واستيعاب المهاجرين، وتنسيق نشاطات الهيئات والمؤسسات اليهودية التي تعمل في اسرائيل. كما ترك لها النشاطات المتعلقة بحماية ورعاية وتجميع اليهود. وفي عا م 1954، تم توقيع ميثاق بين الحكومة الاسرائيلية والمنظمة /الوكالة حدد مهامّ الوكالة بشكل اكثر تفصيلاً. وقد شملت المهام التالية إلى جانب ما سبق ذكره: الحصول على الاراضي في

اسرائيل وتحسينها بواسطة مؤسستي المنظمة الصهيونية والنداء الاسرائيلي الموحد/الصندوق التأسيسي اليهودي، والمشاركة في اقامة وتوسيع مشاريع التطوير في اسرائيل، وتشجيع رؤوس الاموال الخاصة، ومساعدة المشاريع الثقافية ومؤسسات التعليم العالي في اسرائيل، وتعبئة الموارد وجمع الاموال لتمويل هذه الاعمال.

تدير الوكالة اليهودية الهيئات التالية:

1. المجلس العام: عدد اعضائه 340 عضواً. يتلقى التقارير من مجلس الحكام الامناء، ويقرر السياسات الاساسية، ويستعرض البرامج، ويناقش الميزانية، وينتخب الرئيس وامين الصندوق.
2. مجلس الحكام (الامناء): عدد اعضائه 62 عضواً. يدير شؤون الوكالة ويوجه نشاطاتها، ويعين لجنة الميزانية والمالية ولجان حملات التبرعات والاستيعاب والتعليم والاسكان والتصنيع الريفي .. الخ
3. اللجنة التنفيذية: وعدد اعضائها 13 عضواً.

وتضم الوكالة عدداً من الدوائر، هي:

1. دائرة الهجرة والاستيعاب.
2. دائرة هجرة الشباب.
3. دائرة الاستيطان الزراعي.
4. دائرة الشباب والطلائع.
5. دائرة التعليم.
6. دائرة التنظيم.
7. دائرة الاعلام.
8. دائرة جيل الامتداد.
9. دائرة الجاليات اليهودية الشرقية (السفارد).
10. دائرة مشروع ترميم الضواحي.(4)

تقدر ممتلكات الوكالة اليهودية بمئات ملايين الدولارات. فهي تمتلك وتشرف على سلسلة من الشركات والمشاريع الاقتصادية في

اسرائيل من بينها بنك ليتومي الاسرائيلي، وهو اكبر بنوك اسرائيل، كما تمتلك عدة فنادق وشركات اعداد وتجهيز المستوطنات ونسبة في شركة انتاج وتنمية الصناعات في المستوطنات التي تسيطر على جميع الصناعات في الكيبوتزات، كما تمتلك نسبة في شركة طيران العال وفي صحيفة Jerusalem Post وغيرها.

لقد بلغ اجمالي ما انفقته الوكالة داخل اسرائيل منذ عام 1948 حوالي 6,5 مليار دولار على اقل تقدير، تم انفاق حوالي 70% منها منذ اعادة تنظيم الوكالة عام 1970. وقد ساعدت في استيعاب حوالي 1,700,000 مهاجر بما يزيد على 500 مستوطنة تضم 150,000 مستوطن، كما ساعدت في مجال الاسكان. وتشرف الوكالة على عدد من البرامج لشباب الاحياء الفقيرة. ويقال ان برامج الوكالة تؤثر في حياة 600 الف من سكان اسرائيل.(5)

. . .

المؤتمر اليهودي العالمي:

يعرّف على كونه منظمة يهودية دولية تضم ممثلين عن الجماعات والمنظمات والهيئات اليهودية في اكثر من 70 دولة تعمل على الدفاع عن الحقوق المدنية والدينية لاعضاء الجماعات اليهودية وعلى حماية مصالحهم وتنمية حياتهم الثقافية والاجتماعية، كما تعمل على توحيد جهود المنظمات المنتمية اليها على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي. وكما تعمل هذه المنظمة على تمثيل المنظمات التي تنتمي اليها امام الهيئات الحكومية والدولية في شأن القضايا التي تهم الجماعات اليهودية في العالم. ومعنى كل هذا ان مجال نشاط المؤتمر اليهودي لا علاقة له بالاستيطان الصهيوني. وقد تأسس هذا المؤتمر العالمي بمبادرة من المنظمة الصهيونية حتى رأى زعماؤها انه من المفيد ان تؤسس منظمة عالمية موازية تضم كل اليهود الصهاينة واليهود غير الصهاينة سواء بسواء.

طَرَحتْ الفكرةُ نفسَها بداية فيما يسمى "لجنة الوفود اليهودية"، وذلك امام مؤتمر السلام اذ قامت بتمثيل وتنسيق اعمال مختلف المنظمات

والمجموعات اليهودية ضمن مؤتمر فرساي للسلام عام 1919. وحينذاك، طالبت اللجنة ليس فقط ضمان الحقوق المدنية والدينية للجماعات اليهودية في معاهدات السلام، بل طالبت بحقوقهم "القومية"، كما طالبت بالاعتراف بتطلعات "الشعب اليهودي" ومطالبه "التاريخية" بشأن فلسطين. وقد تقرر استمرار اللجنة بعد انتهاء المؤتمر. ومع صعود النازية في المانيا، اشرفت اللجنة بالتعاون مع المؤتمر اليهودي الاميركي على عقد عدة مؤتمرات تحضيرية انتهت بتأسيس المؤتمر اليهودي العالمي عام 1936 كمنظمة دولية ذات صفة دائمة تحل محل لجنة الوفود. وقد جاء في المبادئ الاساسية للمؤتمر اليهودي العالمي انه منظمة ديبلوماسية سياسية مهمتها العمل في اوساط حكومات العالم باسم الشعب اليهودي وان هدفها هو العمل من اجل ضمان حق اليهود في المساواة والحفاظ على خصوصيتهم الثقافية والدينية في كل مكان.

اعترفت المنظمة الصهيونية العالمية بالمؤتمر فور تأسيسه ودعت كل الصهاينة للانضمام اليه. وقد بدأ المؤتمر نشاطه بدعوة يهود العالم لمقاطعة المانيا النازية اقتصادياً، ولكن الدعوة فشلت بسبب تعاون الزعماء الصهاينة مع الحكومة النازية. الحقيقة أن إتفاقية الترانسفير، أو إتفاقية التهجير، التي أبرمتها الحكومة النازية مع الحركة الصهيونية العالمية في تموز عام 1933 قد عكست تكامل الاهداف بين الطرفين : دفع يهود المانيا الى الهجرة الى فلسطين. ومع أن الدوافع اختلفت من حيث مضمونها وطبيعتها، فإن كل طرف رأى في الاتفاقية المذكورة وسيلة يمكن ان يحقق بها أهدافه الآنية والبعيدة المدى. فبينما توجهت انظار المؤسسات الصهيونية الى تجنيد رأس المال الصهيوني لعملية الخروج من " مصر الجديدة " الى فلسطين، ادركت حكومة أدولف هتلر أن تسهيل هجرة اليهود ستساهم في تلطيف الجو السياسي الذي اثارته حركة المقاطعة اليهودية للمنتوجات الالمانية. كما أن تيارات من الحزب النازي رأت في هجرة يهود المانيا خطوة مهمة " لتنقية " المانيا من الاجناس الغريبة لتصبح آرية خالصة. أضف الى ذلك أن الحكومة الالمانية قدمت التسهيلات للهجرة الصهيونية عندما استثنت اليهود المهاجرين الى فلسطين من القيود على العملات الاجنبية.

من جهة اخرى، يمكننا وضع اتفاقية الترانسفير في اطار المشروع الصهيوني في فلسطين لتسهيل هجرة الصهاينة وتأمين رأس المال اللازم للمشروع الصهيوني. وزاد في أهمية الترانسفير ان الحركة الصهيونية عانت تراجعاً ونقصاً في الهجرة، بل عانت ايضاً ضائقة مالية قبل عقد الاتفاقية. وهكذا دشنت اتفاقية ترانسفير صفحة جديدة بين الحكومة الالمانية والمنظمة الصهيونية، وأصبحت أساس العلاقات بين الطرفين حتى عشية الحرب العالمية الثانية.(6)

فبعد انتهاء تلك الحرب، قام المؤتمر اليهودي بدور الوسيط بين اسرائيل والمانيا لعقد اتفاقية التعويضات، ووقع ناحوم غولدمان عام 1952 على اتفاقية لوكسمبورغ للتعويضات التي حصلت اسرائيل بموجبها على تعويضات قدّرت بحوالي 90 مليار مارك الماني. كما شارك المؤتمر في محاكمات جرائم الحرب النازية، وقدم الوثائق المهمة، وساهم في بلورة المعايير التي استندت اليها محاكمات نورمبرغ. وتجدر الاشارة إلى انه من بين النشاطات التي يهتم بها المؤتمر بشكل خاص تعقب مجرمي الحرب من النازيين وذلك بغرض ابقاء ذكرى الابادة النازية حية في اذهان الشباب اليهودي. في السياق نفسه نذكر ان المؤتمر اليهودي تزعم الحملة التي شنت على كورت فالدهايم، السكرتير العام للامم المتحدة، عام 1986 عندما اراد الترشح لمنصب الرئاسة في النمسا، بزعم تورطه مع النازية واشتراكه في ارتكاب جرائم الحرب ابان الحرب العالمية الثانية.

ومن الاهتمامات الاخرى للمؤتمر اليهودي العالمي نذكر:

1. اهتمام المؤتمر بقضايا معاداة اليهود واوضاع الجماعات اليهودية في العالمين العربي والاسلامي.
2. اهتمام المؤتمر بتنمية العلاقات مع الفاتيكان.
3. تقديم المساعدات لدولة اسرائيل.(7)

قوى مؤثرة في صنع القرار:

ابرز القوى الاسرائيلية المؤثرة في صنع القرار هي: الجيش، النقابات (الهستدروت)، والحاخامات.

1. للجيش تأثير كبير في حياة الدولة التي ظلت عسكرية ومستنفرة فترة طويلة؛ ولضباط الاحتياط باع طويل في الانتخابات الاسرائيلية وتشكيل الاحزاب السياسية .
2. الهستدروت، او النقابات العمالية، هي المؤسسة الاجتماعية الابرز التي استند تاريخياً اليها حزب العمل اليساري، بيد أنَّ نفوذها تراجع مع موجة "العولمة" القائمة على السوق الحرة وتخصيص المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية. ولطالما لعب الهستدروت دوراً مالياً واجتماعياً في خدمة دولة اسرائيل بالتنسيق والتعاون مع الحكومة الاسرائيلية.
3. اما الحاخامات، من كبار رجال الدين، فلهم تأثير مباشر على الجمهور المتدين الذي يتحدث عن علاقة الاستيطان بارض الميعاد، والذي يجنح عنصرياً باتجاه اعلاء شأن اليهود على بقية الشعوب والاجناس. اللافت هنا هو تزايد عدد اعضاء الكنيست من الاحزاب الدينية بصورة تدريجية خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، حيث بلغ عددهم 27 نائباً في انتخابات 1999.

وسنأتي تفصيلاً على دراسة تأثير كل من الهستدروت والحاخامات في صنع القرار الاستراتيجي في اسرائيل، على أن نأتي لاحقاً على دراسة دور الجيش الاسرائيلي في الفصل الخامس.

. . .

الهستدروت (او الاتحاد العام لعمال اسرائيل) :

أنشأ الصهاينة هذا الاتحاد العمالي عام 1920، لا ليمثل اية طبقة عاملة، وانما ليساهم في توطين المهاجرين الصهاينة وليبلور وينمي، بالاشتراك مع الوكالة اليهودية، جماعة المستوطنين الصهاينة في فلسطين حتى تصبح بناءً استيطانياً متكاملاً توجد داخله طبقة عاملة. وقد عبر بن غوريون عن ذلك بقوله: "ليس الهستدروت نقابة عمالية ولا حزباً سياسياً ولا هو تعاونية وجمعية لتبادل المنفعة، انه اكثر من ذلك.

الهستدروت هو اتحاد شعب يقوم ببناء موطن جديد ودولة جديدة وشعب جديد، ومشاريع ومستوطنات جديدة، وحضارة جديدة. انه اتحاد للمصلحين الاجتماعيين لا تمتد جذوره إلى بطاقة عضويته الخاصة بل إلى المصير المشترك والمهمات المشتركة لجميع اعضائه في الموت والحياة". (8) هذا يعني ان دينامية الهستدروت هي دينامية صهيونية استيطانية احتلالية. لذا يمكننا القول، بأن الهستدروت ليس اتحاد عمال كما قد يوحي بذلك اسمه، وانما هو مؤسسة صهيونية استيطانية في الدرجة الاولى، بل اهم المؤسسات الاستيطانية على الاطلاق. فهو المؤسسة الوحيدة داخل الحركة الصهيونية التي تشرف على معظم النشاطات، وتتحرك داخلها كل الاحزاب، وتربط المستوطن الصهيوني بالجماعات اليهودية في العالم. انها التجربة الصهيونية بامتياز.

من هذه المنطلقات تعددت مجالات عمل الهستدروت وادواته التنفيذية: فهو اتحاد للتعاونيات، ومؤسسة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهيئة للتأمين الصحي، وجمعية لتقديم الخدمات الثقافية والتعليمية. وتضم لجنته التنفيذية الادارات التالية: التنمية والاستيعاب، المساعدة المتبادلة، التوظيف والتدريب المهني، العمال الاكاديميين، والشؤون الدينية، الشؤون العربية والتعليم العالي، والتعويضات.

ويعد الهستدروت من "كبار اصحاب العمل" في اسرائيل، وهو اكبر جسم اقتصادي في الدولة، واكبر مستخدم منفرد للعمال. ويضم الهستدروت مجموعتين كبيرتين من العمال والمصالح الاقتصادية. المجموعة الاولى تضم التعاونيات التي تنقسم بدورها إلى نوعين اساسيين: المستوطنات التعاونية مثل الموشافيم والكيبوتسات، والتعاونيات الانتاجية والخدماتية التي تضم اكبر شركتين للمواصلات (ايجيد ردان). اما المجموعة الثانية فتضم مجموعة شركات ضخمة تابعة لشركة العمال في فروع الصناعة والبناء والتجارة والمصارف. واهم مؤسسات الهستدروت الصناعية مجموعة كور، التي يعمل في شركاتها نحو 23 الف عامل في 100 مصنع تقريباً. وتملك اهم شركات صناعة الالكترونيات، وتضم شركة سوليل بونيه، وشركة تاديران، ومصانع سولتام. وفي الخدمات المصرفية، يمتلك الهستدروت جزءاً كبيراً من بنك

هابو عاليم، ويشارك في ملكية بنوك ومؤسسات مالية اخرى. وفي التجارة يمتلك الهستدروت شركة همشير، وشركة تنوفا. (9)

ويدل توزيع ملكية المنشآت الصناعية ان حصة الهستدروت النسبية قد ازدادت في السبعينات ومنتصف الثمانينات. كما ان حجم صادرات المنشآت الاقتصادية التابعة للهستدروت قد ازداد ازدياداً مطرداً ولا سيما في القطاع الزراعي حيث وصلت نسبة ما صدره عام 1985 إلى 77% من الصادرات الزراعية، و24% من الصادرات الصناعية. ويقوم الهستدروت بالمهمات التالية:

1. الاشتراك الفعلي في تقرير سياسات المؤسسات الاقتصادية التي لا يشترك في ملكيتها، سواء أكان مباشرةً أم من خلال شركات العمال او عن طريق مندوبين له في مجالس ادارة هذه المؤسسات.
2. يقوم الهستدروت بصفته ممثلاً عن العمال والنقابات المهنية بالتفاوض مع اتحاد الصناعيين والحكومة في شأن الاجور وشروط العمل.
3. يقوم الهستدروت، كصاحب عمل واستثمارات، بدور المهدئ للطبقة العاملة حتى تستمر في الانتاج داخل الكيان الصهيوني.
4. يساهم الهستدروت في عملية التربية والتعليم وذلك من خلال الجهاز الرسمي والمؤسسات غير الرسمية.
5. على الصعيد الخارجي، يلعب الهستدروت دوراً اساسياً في الدفاع عن الصورة الاسرائيلية في الاوساط الثورية والاشتراكية في العالم.

الهستدروت إذاً، هو جزء عضوي ورئيسي في المجتمع الصهيوني الاستيطاني، وقد نتج عن قوته وسطوته ان اصبح الشخص الذي لا ينتمي، اليه يجد مشقة كبيرة في الاستمرار في الحياة، ولا يستطيع ان يحصل على الخدمات بسهولة ولاسيما العمل والخدمات الصحية. ويعتبر الهستدروت الاداة الاساسية التي تعبّر من خلالها الفعاليات السياسية في المجتمع عن قراراتها في مختلف نواحي الحياة، اذ ان تنظيمه التشريعي والتنفيذي يتكون من ممثلين عن الاحزاب حسب قوتها الانتخابية، وتالياً فان سياسات الهستدروت في النهاية ليست سوى انعكاس للتفاعل بين

وضع الاغلبية والاقلية الحزبية. وتجدر الاشارة هنا إلى ان احتفاظ حزب العمل بموقعه ومركزه في الحياة السياسية يعود إلى علاقته القوية بالهستدروت. وتتضح لنا هذه العلاقة اكثر حين نعرف أنه في 26كانون الاول عام 1996 نفذ الهستدروت اضراباً عن العمل شل مظاهر الحياة احتجاجاً على السياسة الاقتصادية لحكومة الليكود.

• • •

الحاخامات:

بعد عام 1948، وتدريجياً، اكتسبت اسرائيل ابعاداً دينية مطلقة. فبعد اعلان الدولة الصهيونية بدأ كثير من اليهود ينظرون اليها باعتبارها الكنيست المركزي، والى رئيس وزرائها باعتباره الحاخام الاعظم. اما الطروحات المؤسّسة ليهودية الدولة فيمكن ايجازها على النحو التالي:

1. انشاء دولة اسرائيل هو تجسيد للحلم اليهودي التوراتي القديم.
2. لا يمكن الثقة بالغوييم، وارض اسرائيل الكبرى هي ارض يهودية، ولا بد للدولة اليهودية ان تعتمد على نفسها وحسب. (10)

هذه المقولات ليست بالضرورة مقولات دينية ويمكن لاي حزب علماني ان يتبناها. وبالفعل نجد ان تجمع الليكود يضم في صفوفه متدينين قوميين وعلمانيين. فهو يضم احزاباً دينية مثل حزب المفدال وشاس وديجيل حاتوراه. ولكنه يضم ايضاً احزاب موليديت واسرائيل بعاليا. ويعود بروز الاحزاب الدينية الى الحاخام ابراهام كوك الذي كان يشغل منصب الحاخام الاشكنازي في فلسطين،وهي مستمرة على يد ابنه الحاخام تسفي كوك، بل انها آخذة في التنامي. فقد بلغ عدد ممثلي الاحزاب الدينية في الكنيست 27 عضواً على اثر انتخابات 1999، مقابل 23 في كنيست عام 1996. (11)

هذا التيار الحاخامي (الديني) اصبح بمقدوره التحكم في رئاسة الحكومة واسقاط الحكومات، ولا يمكن تشكيل اية حكومة دون مشاركته. اما اعضاء هذا التيار فيستأثرون دوماً بوزارات التعليم، الاسكان، الاراضي، المهاجرين، الاديان، ويقال ان لهم نفوذاً كبيراً داخل الجيش. فهناك حاخامية عسكرية تتولى مهمة التوجيه الفكري والديني داخل القوات

المسلحة، وكل شؤون الاحوال الشخصية المتعلقة بالعسكريين، وتشرف على المدارس العسكرية الدينية، وتخرّج اجيالاً مشبّعة بالكراهية المطلقة للعرب. كما تتولى الحاخامية اصدار الفتاوى التي تضفي القداسة على الممارسات والجرائم التي يرتكبها الجنود ضد العرب.

وللدلالة على قوة ونفوذ الاحزاب الدينية في المجتمع والسياسة الاسرائيليين نشير الى انتشار نمط جديد من الدعاية الانتخابية يشمل استخدام التعاويذ، وكتابة الحجب، والتبرك بالاولياء، وحجيج السياسيين الى الاحتفالات التي تقام على الاضرحة والمزارات، وازدياد عدد تلامذة المدارس الدينية المحررين من الخدمة العسكرية، والذين يبلغ عددهم حالياً نحو خمسين الفاً. (12) وعلى الصعيد السياسي، فقد اذعن رئيس الحكومة ايهودا باراك لمطالب حزب شاس بمنحه مساعدة مالية لمدارسه الدينية بلغت 16,500 مليون دولار والا انسحب الحزب من الائتلاف الحكومي. وقد برزت هذه الازمة الحكومية في اوقات حرجة مع بدء المفاوضات الاسرائيلية – السورية وما تطلبه تلك المفاوضات من تعزيز للإئتلاف الحكومي. (13)

اخيراً، تعتبر دار الحاخامية الرئيسية في اسرائيل من ابرز المؤسسات الدينية الى جانب وزارة الشؤون الدينية. وقد انشأتها الحكومة البريطانية المنتدبة عام 1921 لتحل محل مؤسسة الحاخام باشي العثمانية، وعهدت اليها بتصريف امور الاحوال الشخصية لليهود المقيمين في فلسطين. وهي تتمتع بصلاحيات واسعة في الامور المتعلقة بالزواج والطلاق والارث والطعام والختان والدفن واقامة شعائر السبت. وقد استمرت الحاخامية في ممارسة صلاحياتها بعد تأسيس الدولة الاسرائيلية، واصبح الحاخامان الاكبران (الاشكنازي والسفاردي) رئيسي المحكمة الحاخامية العليا. وترفض الحاخامية الخضوع للسلطات القضائية في الدولة كالمحكمة العليا, وتسيطر على دار الحاخامية العناصر الارثوذكسية التي قبلت التعاون مع المؤسسة الصهيونية. اما اليهود الاصلاحيون والمحافظون فهم غير ممثلين فيها.

وتعد الاحزاب الدينية بمنزلة الذراع السياسية لدار الحاخامية. كما وتفجر تلك الدار بين آونة واخرى بعض التناقضات الكامنة في

الطروحات التي تستند اليها الدولة الصهيونية. فالصهاينة يفترضون وحدة اليهود. لذا، فحينما تشكك الحاخامية في يهودية بني اسرائيل من الهند والفلاشا من اثيوبيا، فانها تهز هذه الوحدة من جذورها لانها تعيد طرح السؤال: من هو اليهودي؟. كما انها تعمق الانقسامات داخل اسرائيل نفسها بين اصحاب التعريف العلماني لليهودي واصحاب التعريف الديني القومي. فهي تصر، مثلاً، على محاربة الاباحية المتزايدة في المجتمع الصهيوني، الامر الذي يثير حنق العلمانيين، وخصوصاً ان الاباحية مرتبطة بالقطاع السياحي. ويحاول العلمانيون داخل اسرائيل وخارجها تكوين تحالف مشترك ضد الحاخامية الاساسية والمؤسسة الدينية الارثوذوكسية.

. . .

سلط هذا الفصل الضوء على طبيعة القرار السياسي في اسرائيل والقوى الاسرائيلية المؤثرة في صنعه. وتجدر الاشارة إلى ان القرار المتعلق خاصة بالامور الاستراتيجية، لا يخضع لمزاج القادة السياسيين بقدر ما انه عمل مؤسساتي صرف له جذوره التاريخية منذ المؤتمر الصهيوني الاول. وعليه، فانه لمن الافضل النظر إلى اسرائيل، ليس من خلال ما يرمي إلى تحقيقه قادتها السياسيون، بل من خلال عمل مؤسساتها وطبيعة واهداف تلك المؤسسات

المراجع

1. الصهيونية التوطينية هي صهيونية اليهودي الذي رفض الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها، ومع هذا يستمر في الادعاء بأنه صهيوني، وتأخذ صهيونيته شكل دعم الدولة الصهيونية مالياً وسياسياً، والمساهمة في استيطان اليهود الآخرين.
2. عبد الوهاب المسيري، المجلد الساد س، ص، 323-331 .
3. المصدر السابق، ص،331-332.
4. المصدر السابق، ص،332-337.
5. المصدر السابق، ص، 338 .
6. انظر عبد الرحمن عبد الغني ، المانيا النازية وفلسطين : 1945-1933 ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995 .
7. المصدر السابق، ص،340-342.
8. المصدر السابق، المجلد السادس، ص، 182 .
9. المصدر السابق، ص، 183 .
10. الغوييم هي المقابل العبري للكلمة العربية الاغيار. تاريخياً، استخدمت هذه الكلمة من قبل اليهود للاشارة الى الامم غير اليهودية التي تقع خارج دائرة القداسة. وبشكل عام، غوييم صفة توراتية وتلمودية تطلق على الجماعات المعتبرة في نظر اليهود بأنها مجموعة من الرعاع لا تستحق الاحترام. وفي الادبيات الصهيونية العنصرية، فإن الصهاينة يعتبرون العربي على وجه العموم، والفلسطيني على وجه الخصوص، ضمن الاغيار. ويشير وعد بلفورد الى سكان فلسطين العرب على انهم " الجماعات غير اليهودية." .
11. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 39، شتاء 1999، ص، 133-119 . انظر ايضاً عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، المجلد الخامس، ص، 240-242 .
12. عزمي بشارة، " المنتصر والمهزوم في الانتخابات الاسرائيلية،" المصدر السابق، ص، 27 .

13. النهار، 1999/12/27.

الفصل الثالث
قدرات اسرائيل الاستراتيجية وغير العسكرية

مما لا شك فيه ان اسرائيل دولة عسكرية قوية، لا بل توازي قدراتها العسكرية مجموع القوى العسكرية العربية. اضف إلى ذلك ان الدولة العبرية هي ايضاً الدولة النووية الوحيدة في الشرق الاوسط. لكن القوة العسكرية ليست القاعدة الوحيدة التي تعتمد عليها اسرائيل، بل يمكننا اعتبار الانتشار اليهودي، والتطور العلمي والتكنولوجي، والعلاقات المميزة الاميركية – الاسرائيلية جزءاً هاماً من قدرات الكيان الصهيوني، والتي لا بد من دراستها لتبيان مصادر تلك القوة.

• • •

الانتشار اليهودي العالمي (دياسبورا):

يقع مصطلح الانتشار اليهودي، او الدياسبورا، ضمن الامور المعقدة اذ لا يتوفر الاتفاق على معناه او مضامينه. فالانتشار، وفي المعنى نفسه يستعمل مصطلح الشتات، ويعني التجزئة والتفكك. وفي حال كحال اليهود يعني الفئات البعيدة عن فلسطين التي تقطن أماكن وبلاد غير فلسطين. هذا بالنسبة الى اليهود الصهيونيين، لكن بالنسبة الى اليهود غير الصهيونيين فان اصطلاح الدياسبورا لا يعني شيئاً لانهم يعتبرون يهود العالم مواطنين في البلاد التي يسكنون فيها، واندماجهم في مجتمعاتها يتعارض مع مفهوم التفكك والشتات.

ويشكل مصطلح الدياسبورا امراً معقداً ايضاً لانه مشتق من التراث الديني. لكن في الواقع، ومهما يكن من امر، فقد اصبح من المتعارف عليه ان اثنية الانسان اليهودي ليست قائمة على هوية عائلته القومية، وانما على كونه يهودياً بغض النظر عن ممارسته الطقوس الدينية. وتجدر الاشارة الى ان المنظمة الصهيونية، الاوروبية بثقافتها، ارتبطت بالهوية اليهودية ارتباطاً رمزياً وانتهازياً فقط لاضفاء الشرعية على سلوكها وسياساتها. (1)

في الاصل، دياسبورا كلمة يونانية تعني الشتات او الانتشار. وقد كانت الدياسبورا نمطاً شائعاً في العالم الهيليني، ولم يكن مقصوراً على اليهود بل كانت هناك جماعات من التجار اليونانيين الذين يؤسسون جماعاتهم ومجتمعاتهم الصغيرة في المدن التي يستقرون فيها، وكانوا يبنون فيها معابدهم ويعبدون الهتهم، ويمارسون جميع مؤسسات حياتهم الهيلينية. كما ان الجماعات اليونانية المختلفة الموجودة خارج الدول "المدينية"،كانت تشكل دياسبورا. مع العلم ان بعض او اكثر الانتشار تم بارادة المنتشرين، الا انها في نهاية الامر تعني تشتتاً من مركز ما. اما في الكتابات اليهودية والصهيونية، فمصطلح الدياسبورا يحمل معنى سلبياً اكيداً، باعتبار ان اليهودي الموجود خارج فلسطين موجود خارج وطنه رغم ارادته. وكما اشرنا سابقاً، فان الكثير من يهود الولايات المتحدة وكندا يرفضون استخدام كلمة دياسبورا بمعنى "المنفى المؤقت"، على اعتبار ان تلك البلدان هي وطنهم النهائي. وعليه، فقد فضل بعض المؤرخين استعمال عبارة "الجماعات اليهودية في العالم وانتشارها فيه"، على اعتبار ان كلمة دایاسبورا تفترض علاقة قومية بين اعضاء هذه الجماعات وفلسطين، وهو ما تدحضه قراءة سلوكهم في المجتمعات القاطنين فيها. اما البحث في الدياسبورا كاحدى قدرات اسرائيل الاستراتيجية فانه يعني البحث في محورية اسرائيل في عقول المنتشرين اليهود.

فمن الزاوية الدينية، تضفي الرؤية اليهودية على "ارتس يسرائيل" صفة محورية في حياة اليهود. فكان على اليهودي ان يحج ثلاث مرات في العام لتقديم القرابين للاله في الهيكل القائم في القدس. وقد قام الصهاينة بعلمنة هذه العقيدة فنادوا بضرورة ان تصبح الدولة الصهيونية مركز حركية الجماعات اليهودية في العالم، وان تكون الدولة الصهيونية الملجأ الوحيد لليهود، وبأن تقوم وحدها بالدفاع عنهم. ويرى الصهاينة ان الدولة الصهيونية هي التي تساعد يهود العالم في الحرب ضد خطر الاندماج وفي الحفاظ على الهوية اليهودية، وانها هي التي تضمن استمرار التراث اليهودي وتطوره، وتحسن صورة اليهود امام الاخرين. فبدلاً من صورة اليهودي التاجر والمرابي والجبان، تأكدت صورة اليهودي باعتباره المقاتل الشرس، وبذلك يستعيد اليهودي احترامه لنفسه بعد ان

فقده بسبب آلاف السنين من النفي. وتقوم المنظمة الصهيونية باشاعة هذه الرؤية فتبين مدى مشاركة الجماعات الهيودية في بناء اسرائيل ودعمها والالتفاف حولها، ومدى تحمسهم اثناء الحروب الاسرائيلية المتتالية، وذلك حتى يشعروا بأنهم جزء من اسرائيل.

وقد ازداد مفهوم محورية اسرائيل اهمية بعد ظهور الصهيونية التوطينية التي تسمى" صهيونية الدياسبورا"، أي بعد احجام الجماهير اليهودية عن الهجرة الى ارض الميعاد، بحيث اصبح الايمان بمحورية اسرائيل بديلاً للاستيطان الفعلي. وعليه، فقد سعت الدولة الصهيونية الى جمع التبرعات. هذا وقد زوّد اعضاء الجماعات اليهودية اسرائيل بنحو 25 في المئة من كل مواردها المالية في السنين الاولى، الامر الذي دفع بن غوريون الى الاعلان عن "وجود رابطة لا تنفصم عراها بين دولة اسرائيل والشعب اليهودي... رابطة الحياة والموت ..... ووحدة المصير والغاية" . (2) ويهيمن الان الجهاز الصهيوني على معظم المؤسسات اليهودية في العالم، التي تغلغلت في النشاط الخيري والتربوي وفي اوجه الحياة كافة. وتحاول الصهيونية قصارى جهدها ان توظف امكانات اعضاء الجماعات لصالحها، مالية كانت أو علمية او سياسية لتحولهم الى اداة لها. بالنسبة للمساعدات المالية، وفر يهود الخارج لدولة اسرائيل قروضاً ميسرة بلغ مجموعها 17,5 مليار دولار بين سنة 1950 و1985.

الآن، وبعد مرور اكثر من نصف قرن على اقامة اسرائيل، لا يزال نحو ثلثي يهود العالم منتشرين في بلدان مختلفة، وخاصة في الولايات المتحدة حيث يقيم اكثر من اربعة ملايين يهودي. الى ذلك، ثمة ادوار متفاوتة لليهود المنتشرين في اوروبا الغربية واوروبا الشرقية وروسيا واميركا اللاتينية .... حيث يلاحظ النفوذ الصهيوني وسط هذه المجموعات اليهودية على اختلاف معتقداتها وتوجهاتها ومواقعها الاجتماعية. ففي اوروبا الغربية، مثلاً، يلاحظ ان سر نجاح الجماعات اليهودية هناك هو انه يدور في اطار المصالح الاستراتيجية الغربية، أي أنّ مصدر نجاحها، لا يعود فقط لقوتها الذاتية، وانما بسبب اتفاق

مصالحها مع مصلحة الغرب الاستراتيجية في الشرق الاوسط. ولتوضيح هذه المقولة نورد الشواهد والقرائن التالية:

1. اول من دعا لانشاء دولة يهودية في العصر الحديث هو نابوليون بونابرت، وهو ايضا اول غاز غربي للشرق العربي في العصر الحديث. فعندما حاصرت قواته مدينة عكا، اراد نابليون استمالة اليهود الى جانبه وضد بريطانيا، فوعدهم باقامة وطن لهم ليفصل بموجبه مصر عن بلاد الشام .(3) والحقيقة انه لا يمكن الحديث عن وجود لوبي يهودي او صهيوني قوي او ضعيف حين اطلق نابوليون دعوته، فقد كانت نابعة من ادراكه لمصالح فرنسا الاستراتيجية.
2. هناك حشد من الساسة اليهود البريطانيين (بالمرستون، اوليفانت، لويد جورج، بلفور) دعوا لاقامة دولة يهودية في فلسطين، اما قبل ظهور الحركة الصهيونية بين اليهود او في غياب لوبي يهودي او صهيوني.
3. واذا نظرنا الى دول مثل هولندا وبلجيكا فلا يمكن تفسير تأييدها لاسرائيل استناداً الى مقولة اللوبي اليهودي الصهيوني، فالوجود اليهودي في كثير من هذه البلدان يكاد يكون ضعيفاً.

خلاصة القول، هو ان العلاقة بين يهود الشتات الصهاينة والتشكيل الاستعماري الغربي تدور في اطار المصالح الاستراتيجية الثابتة التي تشكلت داخل الحضارة الغربية قبل ظهور الجماعات اليهودية كقوة سياسية فاعلة في الغرب. ويقول المسيري في هذا الصدد : " ان سر نجاح اللوبي اليهودي الصهيوني هو انه يدور في اطار المصالح الاستراتيجية الغربية وانه يَعرض دولته الصهيونية باعتبارها اداة ، أي ان مصدر نجاحه لا يعود لقوته الذاتية او لعناصر كامنة فيه، وانما بسبب اتفاق مصلحته مع مصلحة الغرب الاستراتيجية ." (4) وعليه، فلا يمكننا الحديث عن مصالح صهيونية مقابل مصالح غربية. حتى الاختلافات التي تنشأ بين الدول الغربية واسرائيل يجب ان توضع في خانة

الاختلافات حول الاسلوب والاجراءات وليس حول الاهداف النهائية المتطابقة.

ان الدياسبورا في جوهرها هي دياسبورا الجباية. وقد اعتمدت الحركة الصهيونية منذ نشأتها على التبرعات التي تجمعها من اعضاء الجماعات اليهودية في العالم. وترى الادبيات الصهيونية ان عمليات الجباية تقوي الروابط العاطفية بين اسرائيل ويهود الشتات. من هنا فان شعار النداء اليهودي "نحن واحد" يحث اليهود على تأكيد تضامنهم بواسطة العطاء. فالتبرعات لا ينظر لها باعتبارها مجرد احسان بل بوصفها نوعاً من المشاركة في بناء دولة اسرائيل، وخصوصاً من قبل اليهود العلمانيين والمندمجين. وبهذه الطريقة، يستطيع اليهودي المندمج في الغرب ان يظل في وطنه الحقيقي ويشعر بالانتماء اليه، وفي الوقت نفسه يسمي نفسه صهيونياً من خلال ما يقدمه من تبرعات لاسرائيل. ومهما يكن من امر، فان التبرعات اصبحت القناة الوحيدة التي يعبّر معظم اليهود من خلالها عن علاقتهم باسرائيل. ولذلك، فبالامكان تسمية صهاينة الخارج "بمتبرعي صهيون".

ومما يجدر ذكره ان تبرعات يهود العالم في الماضي كانت تغطي نسبة مئوية لا بأس بها من نفقات الدولة الصهيونية، ولكن هذه التبرعات لا تزيد في الوقت الحالي عن 1,5 في المئة من ناتج اسرائيل القومي. كما لا يتجاوز العائد من بيع سندات اسرائيل النسبة نفسها، وما يعني تزايد اعتماد المستوطن الصهيوني على الولايات المتحدة.

• • •

التطور العلمي والتكنولوجي:

من الناحيتين العلمية والتكنولوجية، هناك تقدم اسرائيلي بارز، حيث صّنفت اسرائيل الدولة الثانية بعد اليابان في العالم بالنسبة للبحث العلمي. ويرتبط بذلك التفاوت الواضح من حيث النوع بين العرب والاسرائيليين.فاسرائيل تسعى للسيطرة في الشرق الاوسط من خلال البحث العلمي والتطور التكنولوجي. فمنذ بداية التسعينات من القرن العشرين، شهدت الصناعة العالية للتقانة مستوى من النمو لا مثيل له. واكبر برهان

على هذا التقدم هو اجمالي مبيعاتها لعام 1997 البالغ 7,2 مليارات دولار، أي بزيادة فاقت تلك المحققة عام 1996 بنسبة بلغت 7 و10 في المئة. اما الصادرات فبلغت 5,6 مليارات دولار عام 1997، أي بزيادة فاقت بـ 14,2 في المئة ما حققته عام 1996. هذا مع العلم ان اسرائيل بلد بلغ اجمالي سكانه حوالي ستة ملايين نسمة مع ناتج اجمالي محلي للعام 1996 يقدر بـ92,3 مليار دولار مع تصدير (للسلع والخدمات عام 1996) بلغ 31,3 مليار دولار. بالاضافة الى الطلب الكبير على التقنيات العالية المطورة في اسرائيل، هناك العديد من الصناعات المطورة من جانب الاسرائيليين تجدها اليوم في منتوجات الشركات المتعددة الجنسيات في مجالات الاتصالات والكومبيوتر، وانظمة المعلوماتية، والطب والبصريات وسلع الاستهلاك وقطاعات البرامج. (5)

والحقيقة ان اسرائيل، هذا "المارد التكنولوجي" الذي يولد على ابوابنا، يستحق منا وقفة . فالمرحلة المقبلة من الصراع العربي – الاسرائيلي لن تكون عسكرية فحسب، وإنما ثقافية ومصرفية واقتصادية. وهذا الصراع اشرس واقوى، ونتائجه عظيمة التأثير على مصير أجيال عدّة قادمة. ففي العقد الاخير من القرن العشرين استطاعت اسرائيل أن تجد لنفسها مكاناً تحت " شمس التكنولوجيات الحديثة والاقتصاد الحديث. " وحده عام 1999 شهد ولادة 1500شركة جديدة (Start up) في ميدان High Tech، مما حدا بالاسواق العالمية الى تسمية الواقع الجديد " وادي سيليكون " نسبة الى Silicon Valley الاميركية. وتمتلك اسرائيل 150 شركة High Tech مدرجة في بورصة NASDAQ في نيويورك، مما يدل على قوة الصناعات التكنولوجية الاسرائيلية التي يقول عنها الخبراء العالميون ان هذه الظاهرة لا تضاهيها إلاّ الولايات المتحدة وكندا. ومن اللافت والخطير في آن معاً ان يكون معظم اصحاب شركات Start up ضباطاً مسرحين من وحدة " تامرام " المولجة بالمعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات في الجيش الاسرائيلي. كما استفادت اسرائيل في الاعوام الاخيرة من هجرة اليهود الروس وكان في عدادهم آلآف المهندسين-- الامر الذي ادى الى حقن الاقتصاد الاسرائيلي بطاقة من المعارف الهائلة قياساً بحجم البلاد وعدد السكان. وممّا لا شك فيه ان التطور التكنولوجي

الذي أصبح حجمه اليوم يوازي خمسة مليارات دولار اميركي قد ساهم بشكل مباشر في زيادة دخل الفرد الذي ارتفع من 3000 دولار سنوياً عام 1985 الى 17000 دولار سنوياً عام 1999.

من الناحية التاريخية، نشأت الصناعة العالية للتقانة الاسرائيلية مع ولادة دولة اسرائيل. ففي عام 1948، اسست قوات الدفاع الاسرئيلية فرعاً اسمته "شعبة العلوم". قامت هذه الشعبة بتطوير اسلحة جديدة، ومتفجرات، ومجموعة من الادوات الكهربائية والالكترونية للجيش، وخلال الفترة نفسها طورت اسرائيل في ما بعد افضل المؤسسات التعليمية ومراكز الابحاث العلمية في الشرق الاوسط، مثل المعهد الاسرائيلي للتكنولوجيا في حيفا، ومعهد وايزمن في رحوفوت، والجامعة العبرية في القدس، وجامعات حيفا وبئر السبع وتل ابيب ورامات – غان. وفي اوائل الستينات دخلت اسرائيل العصر النووي وذلك مع انشاء مصنعين للابحاث النووية.

لقد جعلت اسرائيل من نفسها اكثر الدول استخداماً للكومبيوتر في الشرق الاوسط. حتى انها تفوقت في ذلك على بعض دول اوروبا الغربية. وفي عام 1997 بيع اكثر من 250 الف كومبيوتر شخصي في اسرائيل، وذلك بالمقارنة مع 102 الف كومبيوتر بيع في مصر (حيث يقارب عدد السكان 60 مليون نسمة)، واقل بقليل من تركيا حيث بيع 300 الف كومبيوتر (التي يناهز عدد سكانها 65 مليوناً). يضاف الى ذلك ان تطويرات اسرائيل ساهمت في شكل مهم في العقدين الاخيرين من القرن العشرين، في المجالات التالية لصناعة تقانة المعلومات وصناعة الاتصالات:

1. الاتصالات اللاسلكية (صوت وبيانات).
2. تكنولوجيا الاتصالات المتقدمة.
3. تكنولوجيا المعالجات البيانية الصوتية.
4. تكنولوجيا عمليات الاشارة الرقمية ومنتوجاتها.
5. تكنولوجيا ومنتوجات الانترنت.
6. برامج مخصصة لاصدار فواتير الهاتف والهاتف الخليوي وتطوير شبكة المواصلات الكهربائية. (6)

ان اسرائيل هي الان وسط مرحلة مهمة وواعدة في مجالي الصناعة التكنولوجية والتكنولوجيا المعلوماتية. ففي غضون ما لا يزيد عن بضع سنوات، اخترقت الصناعة التكنولوجية الاسرائيلية الاسواق العالمية واصبحت مراكز الابحاث والتطوير محط انظار الشركات التي تتعاطى المنتجات التكنولوجية والبرامج المعلوماتية في ميادين وسائل الاتصال والطب والهندسة في جميع انحاء العالم. بالفعل، لقد تخطت ظاهرة التكنولوجيا الحديثة في اسرائيل الحدود الضيقة للمطلعين في مجال الصناعة. ان غزو شركات التكنولوجيا الاسرائيلية الاسواق العالمية وبورصة الاسهم الاميركية حث مجلة Newsweek في عددها الصادر في 8 نيسان 1996 على تخصيص مقال طويل تناول هذه المسألة. وقد ختم الكاتب مقاله بالجملة البارزة الاتية: "ارض اللبن والعسل اصبحت ارض التكنولوجيا والمال". واليوم يتم الاتجار بنحو 100 شركة اسرائيلية في كل من اسواق الاسهم الاتية: NYSE، NASDAQ، وAMEX. وباستثناء كندا، لا يتمتع أي بلد اجنبي اخر بمثل هذه الضخامة في وولستريت. تجدر الاشارة الى ان معظم هذه الشركات هي شركات تكنولوجية متطورة. وما يزيد على عشرة منها تملك رؤوس اموال تتجاوز 500 مليون دولار. (7)

ان التطورات التكنولوجية المذهلة التي تشهدها اسرائيل لم تنتج من الفراغ، بل ان هناك عوامل عديدة ساعدت الدولة العبرية في الوصول الى هذا الحد العلمي المتقدم. ومعظم هذه العوامل نابعة من صميم العقل والمجتمع الاسرائيلي، نذكر اهمها:

1. خلال الاعوام الثلاثين الماضية اسست عشرات شركات الاستثمار والصناديق لتمويل المشاريع التكنولوجية والبرمجة المعلوماتية. وان مئات مشاريع الابحاث والتطوير في المختبرات التكنولوجية والاف المبادرات المنطلقة في هذا الاتجاه جعلت من اسرائيل رائدة عالمية في مجال المبادرات كما في مجال العروض العامة في اميركا الشمالية.
2. تعتبر قوة اسرائيل العاملة من اكثر القوى العاملة ثقافة في العالم. وقد ساهم الاف المهاجرين الذين دخلوا البلاد خلال الاعوام

الستة الماضية، والذين يمارس عدد كبير منهم مهنا تقنية، في تحسين الوضع وفي رفع اسرائيل الى قمة الجداول التعليمية خصوصا في مجال التكنولوجيا الحديثة. ويبدو ان الحافز الاساسي الذي دفع ادارة شركة INTEL في الولايات المتحدة الى انشاء مصنع في اسرائيل كان توافر موظفين محترفين من الطراز الرفيع. (8)

3. اعتقادا منها بان مستقبل البلاد الاقتصادي يعتمد الى حد كبير على نجاح صناعتها التكنولوجية، اطلقت الحكومة الاسرائيلية "برنامج المختبر التكنولوجي" منذ سبعة اعوام. ويمكّن هذا البرنامج صاحب أي مشروع ينطوي على فكرة تكنولوجية مبتكرة من تحول فكرته تلك انتاجا. وتشكل مختبرات المشاريع التكنولوجية أطر عمل داعمة تمكن اصحاب المشاريع المبتدئين من وضع افكارهم التكنولوجية المبتكرة في مراحل التطوير التمهيدية وتحويلها منتجات تجارية قابلة للتصدير وانشاء مصانع في اسرائيل لادراك هذا الهدف. هذا ويستفيد صاحب المشروع من الموارد المالية والارشادات المحترفة والمساعدة الادارية التي يحتاجها لتحويل فكرة غير واضحة انتاجاً قادراً على اثبات وجودها في السوق العالمية. وتجدر الاشارة الى ان نسبة 70 في المئة من صادرات اسرائيل السنوية التي يبلغ حجمها 22,5 مليار دولار كقيمة بضائع تتضمن مكونات تكنولوجية.

4. في اوائل التسعينات من القرن الماضي اعلن اسحق رابين ان الوقت حان لاعادة الادمغة الاسرائيلية الى البلاد. ولهذا الهدف شكلت لجنة عرفت بلجنة المدراء العامين، لانها كانت تضم المدراء العامين لوزارات الحكومة المعنية بالموضوع. ومنذ بدء عملها، ادركت اللجنة ان نشاطها يجب ان يتركز في شكل رئيسي على الاسرائيليين المقيمين في اميركا الشمالية حيث يمارس آلاف الاسرائيليين مهناً تكنولوجية تحتاجها شركات التكنولوجيا الحديثة الاسرائيلية، خاصة وانهم يتمتعون بخبرات تكنولوجية واسعة المدى بما فيها الاطلاع المباشر على السوق

الاميركية التي تعتبر السوق المسيطرة بامتياز في حلبة التكنولوجيا العالمية.

5. لقد اسست كل من INTEL، IBM، AMEX وغيرها من الشركات العالمية العملاقة مراكز تطوير في اسرائيل. وانشأت INTEL مصنعاً تبلغ قيمته 1,6 مليار دولار في Kiryat Gat، وهو مصنع من المتوقع ان يؤمن وظائف لاكثر من الفي عامل وتستمر الصناعات الحربية الاسرائيلية في العمل على مشاريع مشتركة مع الاميركيين على غرار مشروع صاروخ آرو Arrow. (9)
6. اخيرا، تقدم عملية السلام في الشرق الاوسط، رغم الصعوبات التي تواجهها، فرصا غير مسبوقة في المجال التكنولوجي، اذ ان بلدانا لم تكن تقيم أية علاقة عمل مع اسرائيل في الماضي باتت اليوم تسعى الى التعامل معها في مجالات الابحاث والتطوير والصناعة والتسويق. اما بالنسبة للعالم العربي، فان ما ينبغي التخوف منه هو محاولة اسرائيل احتكار التكنولوجيا وفق قوانين العولمة. بمعنى ان تفوق اسرئيل التقني في عدد من المجالات وقيامها بتسجيل شهادات اختراع معينة، يجبران بعض الشركات العالمية على الالتزام باحتكارها، فلا يمكن الحصول عليها الا عبرها. كأن تقوم مثلا شركة "سبينس" بتحويل الطلبات العربية الى وكيلها الحصري في اسرائيل، عندها ستكون تلك الطلبات امام خطر التبعية في هذا المجال للدولة العبرية. (10)

• • •

العلاقات المميزة الاميركية – الاسرائيلية:

تعكس قدرات اسرائيل الخارجية مقولة بن غوريون الذي اوصى القادة الاسرائيليين قائلا: "اذا كنتم تريدون اتباع سياسة تؤدي الى الحرب، فمن الاهمية الاعتماد على دولة كبرى". (11) في الواقع، نعمت الدولة العبرية بتأييد ودعم الدول الكبرى ابان كل حروبها مع الدول العربية. ففي عام 1948 تم الاعتراف بوضع اسرائيل من قبل واشنطن وموسكو. وتكرر

هذا الامر عام 1956 عندما نسقت تل ابيب حملتها العسكرية على السويس مع كل من لندن وباريس. ولقد علق موشي دايان على تلك الحرب بقوله: "ان حملة السويس لم تكن لتبدأ لولا التعاون الثلاثي بين كل من اسرائيل وفرنسا وبريطانيا". (12) وفي السياق نفسه يمكننا الحديث عن حربي 1967 و1973 حيث ظهر بوضوح تعاظم شأن الاعتماد العسكري الاسرائيلي على المساعدات الاميركية. فلولا الجسر الجوي العسكري الذي اقامته واشنطن مع تل ابيب خلال حرب تشرين لعرفت الدولة العبرية هزيمة منكرة.

يبدو تفسير العلاقات الاميركية – الاسرائيلية اكثر سهولة اذا ما تم تحليلها في ضوء الحرب الباردة. فخلال تلك الحرب، كان الشرق الاوسط مسرحاً للنزاع حول النفوذ والمصالح بين الدولتين العظميين. مع العلم ان موسكو كانت قد ايدت اقامة دولة اسرائيل، الا ان الالتزام الاميركي بحماية امن اسرائيل دفع بالقادة السوفيات الى التقرب من العرب. ففي عام 1955، وعلى اثر الاتفاق المصري مع تشيكوسلوفاكيا، اضحت مصر الدولة الاولى من دول العالم الثالث المستوردة للسلاح السوفياتي بعد رحيل ستالين. وقد تعاظم شأن النفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط بعد التوقيع على معاهدتي الصداقة والتعاون بين موسكو والقاهرة (1971) وبين موسكو ودمشق (1980). ولا بد من التذكير بان النفوذ السوفياتي في المنطقة قد اختبر تراجعا مذهلا على اثر قرار الرئيس السادات طرد الخبراء السوفيات من مصر عام 1972، وايضا عام 1982 عندما اكتفت موسكو بارسال "برقيات التأييد للرفقاء الفلسطينيين" المحاصرين داخل بيروت من قبل الجيش الاسرائيلي.

اما على صعيد العلاقات الاميركية – الاسرائيلية، فيلحظ George Ball ان واشنطن نقلت سياستها من الحياد الى لعب دور الحليف المؤيد لدولة اسرائيل.(13) فمع بداية الصراع العربي – الاسرائيلي ايدت واشنطن جهود الامم المتحدة لانهاء اعمال العنف؛ وامتنعت عن بيع الاسلحة الى اسرائيل الا بعد التنسيق مع باريس ولندن؛ واجبرت تل ابيب على سحب قواتها من سيناء عام 1957. لكن مع اشتداد الحرب الباردة بدأت ادارة الرئيس جونسون تقديم اسلحة هجومية لاسرائيل. وقد تم ذلك على اساس

ان الدولة العبرية تمثل قيمة استراتيجية لواشنطن. وبذلك لم تعد الولايات المتحدة تملك موقفاً حيادياً بالنسبة لعملية السلام. وظهر ذلك جليا عام 1975 عندما التزمت واشنطن بعدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية حتى تعترف اولا هذه الاخيرة بحق اسرائيل في الوجود. (14)

لكن الباحث في المساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية التي تقدمها واشنطن لتل ابيب يدرك سريعاً ان العلاقات بينهما هي اكثر من علاقات طبيعية قد تنشأ بين دولتين. اولاً، على الصعيد الاقتصادي، تدفقت مساعدات مالية اميركية بلغت 31,2 مليار دولار بين عامي 1950 و1985. بعد ذلك، استقرت المساعدات المالية الاميركية السنوية على اكثر من ثلاثة مليارات دولار. هذا بالاضافة الى القروض الميسرة التي حصلت عليها اسرائيل من الادارة الاميركية في فترات متفاوتة. اما بالنسبة للتبادل التجاري فقد تضاعف حجم ذلك التبادل بين الدولتين من 3,4 مليار دولار عام 1984 الى 7,8 مليار دولار عام 1992 . هذا، وتستورد اسرائيل حوالي خمس حاجاتها من الولايات المتحدة، أي ما قيمته 4 مليار دولار في العام نفسه. في المقابل تستورد واشنطن حوالي ثلث ما تصدره اسرائيل، أي ما قيمته 3,8 مليار دولار في عام 1992. ويعود السبب في تضاعف حجم التبادل التجاري الى ان الدولتين وقعتا عام 1985 اتفاق التجارة الحرة الذي قلص من حجم الضرائب الجمركية على كل السلع المتبادلة بينهما. (15)

ثانيا، على صعيد الاستثمار المتبادل، فقد بلغ حجم الاستثمارات الاميركية في اسرائيل حوالي 700 مليون دولار مع بداية التسعينات. اما حجم الاستثمارات الاسرائيلية في الولايات المتحدة في نفس الفترة فقد بلغ حوالي مليار دولار. ويعود السبب في هذا التفاوت الى ان الحواجز الاميركية امام الاستثمارات الخارجية اقل بكثير من ذلك الموجود في اسرائيل. اضف الى ذلك ان اسرائيل تطمئن اكثر الى استثماراتها في الولايات المتحدة– – الامر غير المتوفر للاستثمارات الاميركية في الدولة العبرية. (16)

اخيراً، في المجال التقني، يبدو ان هناك مشاركة اميركية – اسرائيلية في هذا المضمار نتج عنه نوع من التوازن بين الطرفين. هذا

التوازن يعود دون ادنى شك الى التطور التكنولوجي الذي تمتلكه واشنطن، مقابل الخبرة العالية التي تتمتع بها اليد العاملة الاسرائيلية. ويمكننا ان نسلط الضوء على ثلاثة برامج تكنولوجية اميركية – اسرائيلية مشتركة:

أ- Binational Science Foundation (BSF) : تأسس عام 1972، هذا البرنامج يوفر الاموال للقيام بابحاث في حقل العلوم التطبيقية كالصحة والزراعة والطاقة والبيئة.

ب- Binational Industrial Research and Development (BIRD): هذا البرنامج تأسس عام 1977 بميزانية وقدرها 110 مليون دولار، ويهدف الى تعزيز الابحاث الصناعية والنشاطات التنموية للقطاعات الخاصة في كلا البلدين.

ج- Binational Agriculture Research and Development (BARD): تأسس هذا البرنامج عام 1977 ليقدم المنح والجوائز المالية لتعزيز التعاون العلمي بين الدولتين.(17)

وتجدر الاشارة الى ان النجاح الكبير الذي حققته هذه البرامج على صعيد التعاون العلمي والتكنولوجي بين واشنطن وتل ابيب دفعت بالرئيس بيل كلينتون ورئيس الوزراء اسحق رابين الى الاعلان في 15 آذار 1993 عن انشاء اللجنة الاميركية – الاسرائيلية للعلوم والتكنولوجيا التي هدفت الى زيادة التعاون في مجالات العلوم والتكنولوجيا والدفاع.

ثانياً، على الصعيد العسكري، ومع العلم ان الولايات المتحدة كانت اول دولة تعترف بوجود اسرائيل، إلاّ انها لم تقدم اية مساعدات للمنظمات الصهيونية خلال الحرب العربية – الاسرائيلية الاولى (1947-1948). ويبدو ان المساعدات الاميركية العسكرية لاسرائيل قد بدأت خلال ادارة الرئيس كينيدي التي قدمت للدولة العبرية صواريخ HAWK المضادة للطائرات. وفي حرب الايام الستة (1967) حركت واشنطن قطع الاسطول السادس قبالة الشواطئ الاسرائيلية لدرء أي هجوم سوفياتي محتمل. ومع بداية السبعينات دعمت ادارة الرئيس نيكسون اسرائيل عسكرياً. وقد ظهر ذلك بشكل ملحوظ خلال حرب تشرين عام 1973 عندما اقامت الولايات المتحدة جسرا عسكريا جويا لامداد تل ابيب بالسلاح. اخيراً، في 15 آب

1979، وبعد سقوط نظام الشاه في ايران، عرّف رونالد ريغان، المرشح آنذاك للرئاسة الاميركية، اسرائيل على كونها "حليف استراتيجي"، وعلى انها ليست "زبوناً" بل "صديقاً يعتمد عليه". (18) بعد ذلك وقعت واشنطن وتل ابيب عدة اتفاقات لتعميق التحالف الاستراتيجي بينهما. اولى تلك التحالفات عقدت في 30 تشرين الثاني عام 1981 عندما وقع الجانبان "ميثاق التعاون الاستراتيجي"، والذي يهدف الى:

1. اقامة مخازن للاسلحة الاميركية في اسرائيل.
2. قيام الطائرات العسكرية الاسرائيلية بعمليات النقل الجوي للقوات الاميركية.
3. ربط شبكة الانذار المبكر التابعة للاسطول السادس مع شبكة الانذار في اسرائيل.
4. تقديم ميناءي حيفا واشدود مركزين لضيافة السفن الاميركية.
5. القيام بمناورات بحرية وبرية مشتركة.

هذا الميثاق هو اول اتفاق رسمي بين الولايات المتحدة واسرائيل وبهذا المستوى. ويعتقد الاسرائيليون انه يساعد اسرائيل على توفير كميات كبيرة من الاسلحة لمواجهة العرب عند نشوب حرب مفاجئة، وسيدفع واشنطن للاهتمام اكثر بأمن اسرائيل. في المقابل، يعتقد الاميركيون ان جعل اسرائيل خزاناً للسلاح يسهل التحرك في الشرق الاوسط والمتوسط، كما انه يمكّن اسرائيل من ان تساعد الاميركيين في مهمة صيانة المعدات العسكرية المخزنة عندها.

اما بقية الاتفاقات العسكرية التي وقعتها واشنطن وتل ابيب فيمكن ايجازها على النحو التالي:

1. في تشرين الثاني 1983 اتفق الجانبان على انشاء مجلس سياسي – عسكري مشترك (JPMG) يجتمع مرة كل ستة اشهر لمناقشة مسائل عسكرية تهم الطرفين.
2. في نيسان عام 1985 وافقت اسرائيل على المشاركة في مبادرة الدفاع الاستراتيجي (SDI)

3. في كانون الاول عام 1987 وقع الجانبان وثيقة تفاهم لمدة عشر سنوات تنظم التبادل التجاري العسكري بينهما، ويمنح اسرائيل فرصة عقد اتفاقات بشكل مباشر مع البنتاغون.
4. في حزيران عام 1988 وقع الجانبان اتفاقاً لتطوير وانتاج صواريخ Arrow الهادفة لرصد وتدمير صواريخ Ballistic هذا وقد تحملت واشنطن حوالي 80 في المئة من كلفة الابحاث. (19)

ثالثاً، على الصعيد السياسي، حظيت اسرائيل، حتى قبل انشائها، بدعم اميركي كبير من كل الادارات ومجالس الكونغرس المتعاقبة. ويمكن ايجاز ذلك الدعم عبر التسلسل التاريخي التالي:

1. قبل هرتزل بقرن كامل،اعلن جون ادامز (1797–1801)، الرئيس الثاني للولايات المتحدة، عن رغبته الصادقة في ان يعود اليهود الى ارض يهوذا كأمة مستقلة، "لانني اؤمن بان خيرة رجال الامة اليهودية واعظمهم استنارة قد اسهموا في تحسين فلسفة العصر". (20)
2. في ايلول عام 1922 ايد الكونغرس باغلبية مطلقة "اعلان بلفور".
3. حدد الكونغرس علاقة الولايات المتحدة مع دول العالم على اساس علاقة تلك الاخيرة مع اسرائيل. فالعلاقات الاقتصادية الاميركية – السوفياتية اضحت مرتبطة بتسهيل موسكو لهجرة اليهود الى اسرائيل.
4. عام 1975 دعا الكونغرس الى اعادة النظر في علاقات الولايات المتحدة مع الامم المتحدة بعد قرار الجمعية العامة اعتبار "الصهيونية شكلاً من اشكال العنصرية".
5. في عام 1977 قلص الكونغرس المساعدات الخارجية بنسبة 11 في المئة مستثنياً من ذلك اسرائيل.
6. في ايار عام 1986 وافق الكونغرس باغلبية مطلقة على اتفاق التجارة الحرة بين واشنطن وتل ابيب. (21)
7. وقفت الديبلوماسية الاميركية الى جانب اسرائيل، خاصة في

استعمالها حق الفيتو في مجلس الامن لمنع تمرير أي قرار دولي يدين السياسات الاسرائيلية التوسعية والعدوانية.

بعد هذا المسح الشامل للدعم الاقتصادي والعسكري والسياسي الاميركي لاسرائيل، لم يعد من الممكن مقارنة العلاقات الاميركية – الاسرائيلية مع أية علاقات بين اية دولتين. من جهته، يصف Safran العلاقات بين واشنطن وتل ابيب على كونها مميزة في تاريخ العلاقات الدولية. (22) بالطبع هناك عدة عوامل، دينية واستراتيجية وسياسية واعلامية، ساهمت في تطوير تلك العلاقة بين الدولتين حتى اضحت ذات طبيعة استثنائية.

1. **العامل الديني:** ان فكرة الدولة اليهودية تستنبط عطفا وتأييدا عند الشعب الاميركي. فاسرائيل الحديثة لا ينظر اليها من قبل المذاهب البروتستانتية الاميركية على كونها دولة جديدة، بل هي امتداد لدولة قديمة ولدراما قديمة تتداخل فيها شؤون الله والانسان معاً. الحقيقة ان تمسك البروتستانتية بالتفسير الحرفي "للكلمة المقدسة" قد فتح الباب امامها لتهويد المسيحية. وما سهّل هذا الامر واضفى عليه تصديقاً رسمياً هو قبول آباء الكنيسة بالجمع بين كتابات اليهود الدينية والعهد الجديد. وعليه، لم تعد اسرائيل تذكر في التفسيرات البروتستانتية بمعناها الروحي، بل اسرائيل "المنحدرة من صلب يعقوب. والادراك نفسه يجب ان ينسحب على مسألة عودتهم (اي اليهود) الى ارضهم واملاكهم القديمة وتمكينهم من دحر اعدائهم". (23)

ويؤمن البروتستانت الاميركيون بان اقامة دولة اسرائيل وعودة اليهود اليها كمقدمة لا بد منها قبل حصول المجيء الثاني للمسيح وتأسيس مملكته في القدس. وبالتالي، فان خلاص اميركا مرتبط بتحقيق النبوءة التوراتية ووعد يهوه لليهود بارض فلسطين. في هذا السياق يعتبر وليم بلاكستون مؤلف كتاب "المسيح آت" اهم شخصية اميركية روجت على نطاق واسع للصيغة السياسية من "الصهيونية المسيحية". وقد نظم اول مساعي اللوبي الاميركي المؤيد لانشاء دولة يهودية في فلسطين.

فحتى يقف على حقيقة نوايا الله بنفسه، قام بلاكستون بزيارة فلسطين سنة 1888. وتمخضت زيارته عن الشعار الذي استعملته الصهيونية اليهودية بعد ذلك. فقد هال بلاكستون "الشذوذ المتمثل في ان فلسطين هذه تركت هكذا ارضاً بغير شعب بدلاً من ان تعطى لشعب بغير ارض". (24) بعد ذلك، أي في عام 1891، قدم بلاكستون "عريضة" للرئيس الاميركي هاريسون جمع فيها توقيعات 413 من كبار المسيحيين الاميركيين البارزين، يطالبه فيها بالعمل على "اعادة فلسطين الان لليهود". (25) وبعمله هذا يكون بلاكستون قد اعرب عن اعتقاد راسخ بان "قيام اميركا بعمل الرب يهوه على الارض بانشائها دولة اسرائيل وتأمين بقائها هو السبب فيما تتمتع به اميركا من قوة ومنعة ووفرة". (26)

لقد فتحت البروتستانتية الابواب على مصاريعها امام تيار متعاظم من التهويد، لا للمسيحية كديانة فحسب، بل ولكل العقل الاميركي. فالعامل الديني جعل الصهيونية تسكن البيت الابيض حتى قبل ظهور الصهيونية اليهودية بوقت طويل. ولتبيان صحة هذه المقولة نذكر المعطيات التاريخية التالية:

أ- احتواء الخاتم الرسمي لدولة الولايات المتحدة على نجمة داود السداسية.

ب- تسمية القادة الاميركيين لدولتهم وقت انشائها بـ"اورشليم الجديدة".

ج- اضطلاع الرؤساء الاميركيين بادوار هامة في مجال خدمة يهود الولايات المتحدة ومصالح اليهود في كل مكان. والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

- حث الرئيس جورج واشنطن جيشه سنة 1777 على " ان يرقوا إلى المستويات الرفيعة التي كانت لجيش بني اسرائيل العظيم".
- اعتبر الرئيس ليندون جونسون ديانته المسيحية مشتقة من اليهودية.
- تأكيد الرئيس جون كيندي ان يهوه هو الذي يحرس الولايات المتحدة ويحميها لا الجيوش او الاساطيل.

- اعلان الرئيس جيمي كارتر بأن اسرائيل هي "باب المجيء الثاني للمسيح." (27)

2. العامل الاستراتيجي: ليس من المقبول عقلاً ان يكون العامل الديني العامل الاوحد وراء ارتقاء العلاقات الاميركية الاسرائيلية إلى مستوى العلاقات المميزة. فالعلاقة بين اميركا واسرائيل تدور ايضاً في اطار المصالح الاستراتيجية الثابتة التي تشكلت داخل الحضارة الغربية قبل ظهور الجماعات اليهودية كقوة سياسية فاعلة في الغرب. وهناك من يعتقد ان الغرب قد عرف مصلحته الاستراتيجية في الشرق الاوسط منذ بداية القرن التاسع عشر، والتي تشكلت من العناصر التالية:

أ- توفر المواد الخام الرخيصة ومجالات الاستثمار الهائلة والسوق الاستهلاكي الكبير.

ب- خطورة واهمية الشرق الاوسط لأمن الغرب ان لم يتحكم فيها.

ج- اعتبار المنطقة العربية مداً جغرافياً رحباً مجرداً من التاريخ، تقطنه قبائل واقليات تدين بديانات مختلفة لا يربطها رابط حضاري او اجتماعي.

هذا المفهوم الغربي لعالمنا العربي يتفق تمام الاتفاق مع المفهوم الصهيوني. فالصهاينة يشيرون إلى فلسطين باعتبارها "ارضاً بلا شعب" وفي ذلك الغاء لكل تاريخها العريق. اضف إلى ان الصهيونية في نهاية الامر وليدة التراث الفكري الاستعماري الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهي اداته في المنطقة. من هنا الدعم الغربي الحاسم للمشروع الصهيوني كوسيلة للدفاع عن امن ومصالح الغرب في هذه المنطقة الحيوية من العالم.

هذا هو السر الحقيقي للنجاح الصهيوني في الولايات المتحدة خصوصاً، والغرب عموماً. فهو يعود إلى ان "صهيون الجديدة" جزء من التشكيل الاستعماري الغربي. وهذا ما يفسر عدم ظهور الصهيونية بين يهود اليمن وانما ظهرت بين يهود العالم الغربي. هذا التقاطع في المصالح ادركه القادة الاسرائيليون الذين لا يكفون عن الحديث عن اهمية دولتهم كقاعدة عسكرية وحضارية وامنية للغرب، وانها، علاوة على ذلك،

قاعدة رخيصة، ارخص بكثير من 10 حاملات طائرات تبلغ تكاليفها 50 مليار دولار، كانت واشنطن ستضطر لبنائها وارسالها إلى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر لحماية مصالحها هناك.

ان نجاح المشروع الصهيوني في فلسطين يعود إلى كون اسرائيل "كنزاً استراتيجياً" او اداة وظيفية للغرب. وللدلالة فقط على دور اسرائيل الوظيفي، نشير إلى ان حرب الخليج الثانية (1991) اثبتت بما لا يقبل الشك ان الدولة الصهيونية تتحرك داخل اطار المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة. فخلال تلك الحرب تبيّن لواشنطن ان مشاركة تل ابيب في القتال ضد العراق سيجبر بعض الدول العربية على سحب جيوشها من "قوات التحالف". لذا طلبت واشنطن من تل ابيب ان تتخلى عن دورها التقليدي وان تتلقى الصواريخ العراقية دون ان تحرك ساكناً. وقد امتثلت الدولة الصهيونية لهذه الاوامر كاشارة على تفهم القادة الاسرائيليين لحدود الدور المرسوم لدولتهم في اطار الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاوسط.

مع نهاية القرن العشرين كانت الولايات المتحدة قد حققت كل اهداف سياستها الخارجية في الشرق. ويمكن تلخيص تلك الاهداف على النحو التالي:

أ- العمل على منع الاتحاد السوفياتي من ان يكون له حضور سياسي واقتصادي وعسكري في المنطقة.

ب- المحافظة على استقلال واستقرار الدول المنتجة لمادة النفط الحيوية.

ج- تأمين استمرار تدفق النفط من خلال حماية الممرات البحرية.

د- حماية امن دولة اسرائيل.

هـ- العمل على تحقيق السلام بين اسرائيل وجيرانها العرب.

لقد شهدت نهايات القرن العشرين سلسلة من الانتصارات الاميركية في العالم والشرق الاوسط نوجزها على النحو التالي:

1. مع انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991 اضحت الولايات المتحدة

القوة العظمى الوحيدة في العالم.

2. ان استئناف المفاوضات السورية – الاسرائيلية في واشنطن في كانون الاول عام 1999 لدليل ساطع على اهمية الولايات المتحدة كراعية وحيدة لعملية السلام في الشرق الاوسط.
3. تحرير الكويت من الاحتلال العراقي عام 1991 وما نتج عنه من بقاء القوات الاميركية في الخليج العربي، مع ما يعنيه ذلك من تحكم واشنطن باسعار النفط العالمي.
4. ومع العلم ان صيغة "الارض مقابل السلام" قد لاقت معارضة من الجانب الاسرائيلي، الا ان الرئيس كلنتون كرر التزام واشنطن بامن اسرائيل وذلك للحفاظ على تفوقها النوعي على العرب في كل المجالات كما ورد في كلمته امام الكنيست الاسرائيلي في 27 تشرين الاول عام 1994.

3. العامل السياسي: والمقصود بالعامل السياسي الدور الذي يلعبه اليهود الاميركيون داخل المجتمع وفي السياسة الاميركية. فاللوبي الصهيوني يعتبر المنظمة الاكثر تأثيراً في العاصمة الاميركية. فهذه المنظمة تمنح المساعدات المالية لدولة اسرائيل، تنظم القوى اليهودية في كل الولايات المتحدة لدعم المرشحين الاكثر استعداداً لتأييد سياسات تل ابيب، وتتبنى مشاريع ثقافية وتربوية واعلامية تؤدي إلى تأسيس نوع من الوجود الاميركي في الحياة الاسرائيلية.

تشير كلمة "لوبي"، بالمعنى الضيق للكلمة، إلى جماعات الضغط التي تسجل نفسها رسمياً باعتبارها كذلك. لكنها، بالمعنى العام، تشير إلى مجموعة من المنظمات والهيئات وجماعات المصالح والاتجاهات السياسية التي قد لا تكون مسجلة بشكل رسمي، ولكنها تمارس الضغط على الحكام وصناع القرار.

أما عبارة "اللوبي اليهودي والصهيوني" في الادبيات السياسية الاميركية فتشير إلى معنيين اثنين:

أ- اللوبي الصهيوني بالمعنى المحدد: تشير كلمة لوبي في هذا السياق الى لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية - الاميركية (AIPAC)، وهي من اهم جماعات الضغط. ومهمتها، كما يدل اسمها، الضغط على المشرّعين الاميركيين لتأييد الدولة الصهيونية. ويتم ذلك بعدة سبل، من بينها تجميع الطاقات المختلفة للجمعيات اليهودية والصهيونية وتوجيه حركتها في اتجاه سياسات واهداف محددة تخدم عادة اسرائيل. كما ان اللوبي يحاول ايضاً ان يحوّل قوة الاثرياء من اعضاء الجماعات اليهودية الى اداة ضغط على صناع القرار في واشنطن، فيلوح بالمساعدات والاصوات التي يمكن ان يحصل المرشح عليها ان هو ساند الدولة الصهيونية والتي سيفقدها لا محالة ان لم يفعل.

ب- اللوبي الصهيوني بالمعنى العام الشائع للكلمة: وهو اطار تنظيمي عام يعمل داخله عدد من الجمعيات والتنظيمات والهيئات اليهودية والصهيونية تتسق فيما بينها، من اهمها: مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى، والمؤتمر اليهودي العالمي، واللجنة اليهودية الاميركية، والمؤتمر اليهودي الاميركي، والمجلس الاستشاري القومي لعلاقات الجماعات اليهودية. وهناك ايضاً عدد من الجماعات الصهيونية التي تسعى الى كسب تعاطف الرأي العام الاميركي مع اسرائيل، والتي ظهرت في بداية الامر من اجل السعي لانشاء دولة اسرائيل ثم تأييدها بعد ذلك. ومن هذه المنظمات: المنظمة الصهيونية لاميركا، والتحالف العمالي الصهيوني، والهاداسا، ومنظمة النساء الصهاينة في اميركا. وتعمل هذه الجماعات على كسب الرأي العام عن طريق مشروعات متعددة تتراوح بين انشاء المدارس التي تعلّم العبرية وانشاء المستشفيات وانتاج الافلام الموالية لاسرائيل وتمويل رحلات الباحثين السياسيين الاميركيين الى اسرائيل.

من الناحية التنظيمية، تتميز هذه الجمعيات والمنظمات عن نظيراتها الاميركية بكونها تضم عضوية كبيرة، كما ان اجهزتها تتميز بوجود موظفين مدربين على العمل في مجالات جماعات الضغط والتأثير، ولديها بيروقراطية مركزية لها القدرة على الربط الدائم بين اليهود النشيطين سياسياً على مستوى اميركا كلها عن طريق كل من مؤتمر الرؤساء ولجنة الشؤون العامة.

وفي مجال الدعاية والتأثير على الرأي العام الاميركي، فان اللوبي الصهيوني نجح في جعله موالياً لاسرائيل بصورة عامة. وهذا النجاح لا يرجع فقط الى الدعاية المنظمة والمؤتمرات وانما يرجع ايضاً لقدرة اللوبي الصهيوني على عقد تحالفات مع جماعات المصالح الاخرى مثل العمال والمرأة والمنظمات الدينية وتلك التي تمثل الاقليات الاخرى وجمعيات حقوق الانسان، واستخدام هذه الجماعات للتأثير على الرأي العام والكونغرس.

لايعمل اللوبي الصهيوني بشكل مستقل عن الحركة الصهيونية وانما ينسق معها. وعندما يثار موضوع مهم، فان قادة مؤتمر الرؤساء ولجنة الشؤون العامة يحتفظون باتصال وثيق مع القادة الاسرائيليين. وتجدر الاشارة هنا الى ان اللوبي الصهيوني يضم في صفوفه عناصر غير يهودية ايضاً، منها: اصحاب المصالح الاقتصادية، والمحافظون الذين يرون في اسرائيل قاعدة للحضارة الغربية ولمصالحها. كما يضم جماعات الاصوليين البروتستانت الذين يرون في دولة اسرائيل احدى بشائر الخلاص.

ولا يستطيع أي باحث ان ينكر قوة اللوبي الذاتية التي يمكن تلخيص مصادرها فيما يلي:

1. يستند اللوبي الصهيوني الى قاعدة واسعة من اعضاء الجماعة اليهودية.
2. توجد بين هؤلاء الناخبين نسبة عالية من الاثرياء يقدّر انهم يتبرعون بأكثر من نصف مجموع الهبات الكبرى للحملة الانتخابية للحزب الديمقراطي.
3. ازدادت اهمية هؤلاء الناخبين بعد الزيادة الهائلة في كلفة

الحملات الانتخابية.

4. ارتفاع المستوى التعليمي لاعضاء الجماعات اليهودية.
5. يوجد عدد كبير من المثقفين الاميركيين اليهود الذين اصبحوا جزءاً من النخبة الحاكمة.
6. التنظيم الدقيق للجماعة اليهودية.
7. ساعد نظام الانتخابات في الولايات المتحدة على ان يلعب اليهود دوراً ملحوظاً في الانتخابات بسبب تمركزهم في بعض اهم الولايات التي تقرر مصير الانتخابات الاميركية (نيويورك، كاليفورنيا، فلوريدا).
8. لا يهتم الناخب الاميركي كثيراً بقضايا السياسة الخارجية ولا يفهمها كثيراً، وإنَّ اقلية مثل الجماعة اليهودية عندها هذا الاهتمام باسرائيل وسياسة الولايات المتحدة تجاهها، يمكنها ان تمارس نفوذا كبيراً في تحديد السياسة الخارجية الاميركية.

ان اعضاء الجماعة اليهودية يلعبون دوراً متميزاً داخل المؤسسات الاميركية لصنع القرار. وقد تزايد عدد اليهود في ادارة الرئيس كلينتون الاخيرة (1996) وبخاصة في المراكز الحساسة مثل وزير الخارجية ووزير الدفاع وعضوية مجلس الامن القومي. وعلى الرغم من ان اليهود لا يشكلون سوى 2,4% من مجموع الناخبين الاميركيين، فان ثمة عوامل تجعل قوتهم الانتخابية وتأثيراتهم تفوق بكثير عددهم الفعلي:

1. اليهود من اكثر الاقليات تركيزاً في المدن.
2. يتركز اليهود في بعض الولايات التي تلعب دوراً حاسماً في انتخابات الرئاسة، وهذا ما يجعل اهميتهم كجماعة ضغط تتزايد باستمرار.
3. يلاحظ ان اعضاء الجماعات اليهودية يتمتعون بأعلى مستوى تعليمي في الولايات المتحدة.
4. يلاحظ ان اعضاء الجماعات اليهودية نشطاء سياسياً ويشتركون في معظم الحركات السياسية.
5. تعد الجماعة اليهودية من اكثر الاقليات ثراء في العالم.

6. تضم الجماعة اليهودية عدداً كبيراً من كبار المثقفين والفنانين ورجال السياسة.

اخيراً، لا بد من تسليط الضوء على طبيعة ودور كل من مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية – الاميركية واللجنة الاسرائيلية – الاميركية للشؤون العامة لما لهاتين المنظمتين من تأثير على صنع القرار الاميركي تجاه اسرائيل.

أ– مؤتمر الرؤساء: منظمة يهودية – اميركية تضم هيئة تمثيلية لـ 37 منظمة يهودية اميركية تمثل وجهة نظر هذه المنظمات بشأن المسائل الخاصة باسرائيل وبغيرها من القضايا الدولية. وهي تنشط داخل الاوساط السياسية الاميركية من اجل تحقيق الاهداف الصهيونية.

نشأت هذه المنظمة بشكل غير رسمي عام 1955 مع انعقاد مؤتمر ضم رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية الكبرى من اجل بحث تلك الموضوعات التي تتعلق باسرائيل وكذلك تلك القضايا التي تحظى باهتمام خاص بين اعضاء الجماعة اليهودية في اميركا. في عام 1960، قرر المؤتمر تغيير طبيعته غير الدائمة والدورية، وان ينظم نفسه على اسس مستمرة ومستقرة، وان يعطي لاجراءاته الصفة الرسمية. ومن ثم، تمَّ تكوين جهاز اداري قد ادرجت له ميزانية ثابتة. وفي عام 1966، قرر الاعضاء ان يكونوا هيئة تمثيلية عوضاً عن هيئة لرؤسائها، فكان ناحوم غولدمان اول رئيس لها. ويعمل المؤتمر على تحقيق عدد من الوظائف والمهام الاساسية التالية:

1. التنسيق بين مواقف اعضاء الجماعة اليهودية في العالم.
2. التخلص من الخلافات بين اعضاء الجماعة اليهودية تجاه موقفهم من اسرائيل.
3. يقوم المؤتمر بتفسير موقف الجماعة اليهودية وتبليغه الى كل من الحكومة الاميركية وصانعي السياسة ووسائل الاعلام والهيئات

الدولية.

4. يقوم المؤتمر بدور المفسّر للاراء الاسرائيلية لدى الحكومة الاميركية.
5. يركز المؤتمر على نشر وشرح وجهة نظر مفادها ان امن وقوة اسرائيل يمثل مصلحة كبرى للسياسة والاستراتيجية الاميركية.

اخيراً، من المنظمات المنتمية للمؤتمر الاميركي لرؤساء المنظمات اليهودية الكبرى نذكر:

- المؤتمر اليهودي الاميركي.
- مجلس الاتحاد الاميركي لعمال اسرائيل.
- الاتحاد الصهيوني الاميركي.
- هاداساه (منظمة نسائية صهيونية اميركية).
- الصندوق القومي اليهودي.
- المؤسسة اليهودية لاعادة الاعمار.

ب- اللجنة الاسرائيلية - الاميركية للشؤون العامة (AIPAC): تأسست هذه المنظمة عام 1954 بغرض التأثير في السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط بحيث تتفق هذه السياسة مع المصالح الاسرائيلية. وهذه المنظمة مسجلة كجماعة ضغط (لوبي) رسمية للقيام بمهمة الدعاية لدعم اسرائيل باسم الطائفة اليهودية الاميركية، وهي في تقدير البعض من اقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة ومن اكثرها تأثيراً على الاطلاق.

وتقود اللجنة حملات الضغط من اجل دعم مواقف الحكومة الاسرائيلية وتعمل على تقوية التحالف الاسرائيلي الاميركي ومنع قيام تحالفات بين الولايات المتحدة والعالم العربي يمكن ان تضر باسرائيل. وهي تعمل ايضاً على تأكيد اهمية اسرائيل الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة والغرب، وعلى تأكيد قدراتها التي لا تضاهى على حماية المصالح الاميركية سواء في ردع التوسع السوفياتي (سابقاً) او في التصدي

للارهاب الدولي. وكذلك، فانها تؤيد التشريعات التي تعطي واشنطن بمقتضاها المنح والمعونات لاسرائيل وتضغط من اجل زيادة هذه المعونات بشكل مطرد. ومن جهة اخرى، فانها تعارض التشريعات التي يتم بمقتضاها توجيه المساعدات الى الدول المعارضة لمصالح الدولة الصهيونية. كما انها تقود الحملات ضد صفقات السلاح مع الدول العربية وضد المقاطعة العربية وضد منظمة التحرير الفلسطينة.

بالنسبة لآليات عملها داخل الكونغرس، تقوم اللجنة بالمهمات التالية:

1. تقدم تقريراً لكل عضو في الكونغرس عن كيفية التصويت لصالح اسرائيل.
2. تزود الاعضاء بالبيانات والوثائق الخاصة بالمواضيع التي تعرض على الكونغرس والتي تهم اسرائيل وتدعم وجهة نظرها.
3. تقوم بالتودد الى معاوني اعضاء الكونغرس عبر المكالمات الهاتفية والزيارات الشخصية.
4. تساهم في تمويل الحملات الانتخابية لاعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الملتزمين بالتصويت وفقاً لتعليمات اللوبي الصهيوني.
5. تنشر اللجنة تقرير الشرق الادنى (Near East Report) والتي تعتبر من اكثر النشرات نفوذاً بين اعضاء الكونغرس فيما يتعلق بالشرق الاوسط.

اخيراً، يجري تمويل AIPAC عن طريق الرسوم التي يدفعها الاعضاء (44 الف عضو) والهبات. وهي بوصفها لوبي يتعين عليها ان تقدم تقارير مالية فصلية كل ثلاثة اشهر الى وزير الخارجية والى رئيس مجلس النواب، اما منصب رئيس اللجنة فيشغله رجل ثري ذو نفوذ. (28)

4. العامل الاعلامي: ان العطف الذي تلقاه اسرائيل داخل المجتمع الاميركي قد تعاظم شأنه بسبب الحملات الدعائية التي تقوم بها اسرائيل لتلميع صورتها على المستوى الدولي. فوزارة الخارجية الاسرائيلية

تنشر كل عام مئات الدراسات والمقالات في المجلات والصحف الاميركية، وهي تشرف ايضاً على انتاج العديد من البرامج الاذاعية وتوزعها على حوالي 350 محطة اذاعية في طول الولايات المتحدة وعرضها. وفي كل عام تدعو وزارة الخارجية الاسرائيلية حوالي 500 مثقف اميركي من صانعي الرأي العام الى زيارة الاراضي المقدسة والكتابة عنها بعد عودتهم الى ديارهم. (29) ولقد اثّرت هذه العوامل على انشاء نوع من الرباط العضوي بين واشنطن وتل ابيب. فمع بداية الثمانينات اضحت الولايات المتحدة الدولة الاولى في تقديم المساعدات العسكرية الاقتصادية والدعم السياسي لدولة اسرائيل.

يلاحظ ان المستثمرين من اعضاء الجماعات اليهودية في الولايات المتحدة هم من العناصر الرائدة في مجال الصحافة. وتمتلك دار صمويل نيوهاوس للنشر واحدة من اكبر الشبكات الاعلامية في الولايات المتحدة وتضم المجلات والصحف ودور النشر ومحطات الإذاعة والتلفزيون. وتعتبر عائلات سولزبرجر واننبرج وبوليتزر من العائلات الرائدة ايضاً في مجال النشر الصحفي. ورغم ان 3,1 % فقط من الجرائد الاميركية مملوكة لافراد او اسر يهودية، الا ان اكثر هذه الجرائد والمجلات اهمية وانتشاراً مملوكة لاعضاء الجماعة اليهودية. ومن اهم الاصدارات نذكر:

1. Daily News Bulletin
2. Jewish Forward
3. Morning Freiheit
4. Jewish press
5. Jewish Week
6. Commentary
7. Present Tense
8. American Jewish Year Book
9. Moment
10. Congress Monthly

11. Judaism
12. Jewish Heritage
13. Near East Report

وللتيارات الدينية المختلفة داخل الجماعة اليهودية اصداراتها الشهرية الخاصة. ومن اهم دور النشر اليهودية دار Herzl في نيويورك، و Jewish Publication Society في فلادلفيا، وشركة Bloch للنشر، وكتب Schoken.

. . .

وهكذا يبدو جلياً أن قدرات اسرائيل غير العسكرية لا تقل أهمية عن قدراتها النووية. فالتبرعات المالية التي يقدمها يهود العالم لدولة اسرائيل، وتقدَمها العلمي والتكنولوجي في عصر العولمة، وعلاقاتها الاستثنائية مع واشنطن يجعل منها احدى القوى الكبرى في العالم. بمعنى اكثر دقة، ان اسرائيل دولة منظمة، علمية، وقادرة لا بد من دراستها بامعان لمواجهة خططها في منطقة الشرق الاوسط.

المراجع

1. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 38، ربيع 1999، ص، 30-31.
2. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد السادس، ص، 395.
3. موسى كاظم التونسي، وثائق التدخل الاجنبي في الوطن العربي ، الجزء الاول، دمشق : دار البعث للصحافة والطباعة والنشر، 1972 ، ص، 42 .
4. عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، المجلد السادس، ص، 348 .
5. نيسو كوهين، "صناعة التكنولوجيا المتقدمة في اسرائيل"، النهار، 1999/9/14، ص، 12.
6. المصدر السابق، ص، 12.
7. تقرير وزارة الخارجية الاسرائيلية عن صناعة المعلوماتية، (1)، النهار، 1999/9/21، ص،12.
8. المصدر السابق، ص، 12.
9. المصدر السابق، (2)، 1999/9/30، ص، 12.
10. ملحم شاوول، "الاحتكار التكنولوجي الاسرائيلي اخطر مداخل التطبيع"، النهار، 6 / 1/2000، ص، 13.
11. Z. Schiff and E. Ya'ari, Israel's Lebanon War, (New York : Simon and Schuster, 1984), p.31.
12. Z. Schiff, A History Of the Israeli Army,p.92.
13. G. Ball, Error and Betrayal In lebanon, (Washington, D.C : Foundation for middle East Peace, 1984), p.93.
14. P. Seale, Asad : The Struggle For The Middle East, (New Haven : Yale University Press, 1986), p.259.
15. B. Reich, Securing The Covenant : United States - Israel Relations After the Cold War, (London : Praeger, 1995), pp.91-98.
16. المصدر السابق، ص، **98-99**.

17. المصدر السابق، ص، 100-101.
18. المصدر السابق، ص، 40.
19. المصدر السابق، ص، 41-45.
20. شفيق مقار، المسيحية والتوراة، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1992، ص، 163.
21. B. Reich, Securing The Covenant, pp.78-84.
22. N. Safran, Israel : The Embattled Ally, p.332.
23. شفيق مقار، المصدر السابق، ص، 93.
24. المصدر السابق، ص، 152.
25. المصدر السابق، ص، 153.
26. المصدر السابق، ص، 155.
27. المصدر السابق، ص، 117-118 و 161-163.
28. حول دور اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، انظر عبد الوهاب المسيري، المجلد السادس، ص، 343–377.
29. T. Friedman, from Beirut To Jerusalem, (New York : Farah Straus Giroux, 1989), p.44.

القسم الثانـي

أهداف السلم الاسرائيلي المسلح

الفصل الرابع
اسرائيل دولة الارهاب

مع مطلع السبعينات بدأت وسائل الاعلام الغربية والصهيونية باستعمال تعبير "الارهاب الدولي" متناقلة باسهاب اخباره المثيرة. واللافت في الامر ان ادبيات القانون الدولي لا تلحظ تعريفاً واضحاً لمفهوم الارهاب الدولي او توثيقاً لخصائصه. وكانت النتيجة ان تعددت التفسيرات وتعارضت الاراء حول المعنى الحقيقي للارها ب الدولي ليبقى في نهاية المطاف شعاراً سياسياً تطرحه جهات دولية وذلك لاسباب واهداف ومصالح سياسية. (1) واننا نعترف بداية ان الموضوع الذي نحن بصدد معالجته لم يخضع الا لماماً لدراسات موضوعية وقانونية بتنا نخاف معها القول بان الرأي العام العالمي قد قارب بين الارهاب الدولي وكل ما هو عربي واسلامي بشكل عام انطلاقاً من التعبئة التي مارستها الدول الامبريالية على شعوبها ضد حركات التحرر الوطني في العالم الثالث التي كانت تصطدم مباشرة بمصالح هذه الدول، والتي تمثلت في المشرق العربي بحركة التحرر الوطني الفلسطيني.

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام رئيسة: يتناول القسم الاول البعد النظري لمفهوم الارهاب من خلال تعريفه وتبيان انواعه، لنخلص الى التمييز بين الدولة المساندة للارهاب والدولة الارهابية. اما القسم الثاني فيعالج القواعد المؤسسة لارهاب الدولة الاسرائيلية. وختاماً، نسلط الضوء مجدداً على جريمة قانا واخواتها كحلقات متصلة في مسلسل الارهاب الاسرائيلي الذي لم ينته فصولاً بعد. يبقى ان نشير اننا كشعوب ودول عربية نمر في زمن نظام عالمي رديء يلصق فيه الجلاد تهمة الارهاب بالضحية.

. . .

البعد النظري لمفهوم الارهاب:

يعالج هذا القسم البعد النظري لمفهوم الارهاب: تعريفه، طبيعته، وانواعه. وبداية يجب التنويه ان عدم وجود تعريف رسمي للارهاب، لا يعني انتفاء امكانية دراسته. صحيح ان موضوع الارهاب هو حديث العهد نسبياً، الا ان هدفه وتقنيته لم يتغيرا عبر العصور. ولقد اشار الى ذلك SunTzu منذ 2500 عام عندما قال: "الارهاب يعني ان تقتل شخصاً لادخال الرعب الى قلوب 10 الاف شخص آخر." (2) لكن هدف الارهاب شيء وتعريفه شيء آخر.

ولا شك في ان تعريف الارهاب تعترضه صعوبات عدة لا بد من مناقشتها قبل التوصل الى وضع تعريف "غير نهائي" له. وتعود الصعوبة الاولى في تعريف الارهاب الى ان القانون الدولي لا يقدم تعريفاً محدداً لمعنى الارهاب، الامر الذي سهل على الدول الكبرى اتهامها الشعوب والجماعات الثورية التي تناضل من اجل حريتها واستقلالها بالارهابية. ففي نظر القانون الدولي فان الدول لا تقوم باعمال ارهابية بل بممارسات عدوانية، بغض النظر عن طبيعة تلك الاعمال والممارسات. وتتجلى الصعوبة الثانية في كثرة التعريفات المعطاة لكلمة ارهاب. ومن بين هذه التعريفات نجد مثلاً:

1. الارهاب عنف يهدف الى تحقيق اهداف سياسية. هذا التعريف يفرق بين الارهاب والجرائم غير السياسية، لكنه لا يميز بين الارهاب والاعمال العسكرية الاخرى، كالحرب مثلاً.
2. التعريف الثاني قدمته وكالة المخابرات المركزية الاميركية (CIA) التي عرفت الارهاب بانه عنف يهدف الى تحقيق اهداف سياسية عن طريق نشر الرعب لاجبار الطرف الاخر على اتخاذ موقف معين او الامتناع عن اتخاذه. هذا التعريف يسقط عندما تلصق تهمة الارهاب بطرف ما ضد طرف آخر في الصراع السياسي. فما هو ارهابي من وجهة نظر دولة معينة هو عمل مقاومة مشروعة من وجهة نظر دولة او شعوب اخرى. فالادارة الاميركية

لم تصف زرع الالغام في ميناء نيكاراغوا عام 1982 بالارهاب لان القائمين بالعمل هم الـContras وبمساعدة الـ CIA.

3. التعريف الثالث للارهاب تحدث عن الضحية (بريء، غير عسكري او مدني) كأساس لفهم العمل الارهابي. لكن هذه الخصائص غير متشابهة. مثال على ذلك ان الضحية المدني (الجاسوس) ربما ليس بريئاً. (3)
4. ان احدث تعريف للارهاب الذي وضعه Walter laqueur في Foreign Affairs عام 1996 لم يخرج ايضاً عن المألوف. فقد عرّف Laqueur الارهاب على كونه نوعاً من استخدام طرق عنفية كوسيلة، الهدف منها نشر الرعب في المجتمع لاضعاف الحكم وتحقيق تغيرات سياسية. (4) هذا التعريف لا يفي حقيقة بالغرض لان اكثر المنظمات المتهمة بالارهاب، كالجيش الجمهوري الأرلندي (IRA) ونمور التاميل في سيريلانكا ومنظمة الباسك (ETA) في اسبانيا لا تعتمد استراتيجية عسكرية فقط، بل لها ايضاً ذراعها السياسية ومؤسساتها التربوية الاجتماعية والمالية، وهذا بالطبع ما ساعد ويساعد الجناح السياسي لتلك المنظمات على ان يبقى بمنأى عن تهمة الارهاب.

يستدل من كل هذه التعريفات ان الارهاب يستعمل عادة للادانة فقط. فاذا ما تم الصاق تهمة الارهاب بعدو ما في دائرة الصراع السياسي فان ذلك يعني تحقيق انتصار للطرف المتهم ولكن على حساب المنهجية العلمية الضرورية لفهم طبيعة الحرب والسلام وما بينهما من شعارات ثورية وحركات استقلالية مشروعة الخيار والاهداف. بكلمة اخرى، ان كلمة ارهاب تبقى عائقاً امام عملية فهمنا للاضطرابات الاجتماعية والسياسية, وعليه فان اي تعريف للارهاب يجب ان يشرح اسباب الادانة او حيثيات التبرير للعمل الارهابي.

وكانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد ادانت القمع والارهاب، وربطت ذلك بحق تقرير المصير من خلال القرار 30340 المتخذ في

الدورة 27، تاريخ 1972/12/18، والذي جاء فيه: "تدين الجمعية العامة اعمال القمع والارهاب التي تقوم بها الانظمة الارهابية والعسكرية في انكار حق الشعوب في تقرير المصير والاستقلال وغيرها من حقوق الانسان وحرياته الاساسية". (5) هذا يعني ان الارهاب هو عمل تقوم به الدول ايضاً. وعليه فقد عرّفت دول عدم الانحياز عام 1984 الارهاب بأنه "نوع من العنف تقوم به قوى استعمارية، عنصرية، او نظام ضد الشعوب المناضلة من اجل الحرية." (6)

اخيراً، يرى بعض الباحثين انه يجب التركيز على الارهاب كعمل، والتمييز بين هذا العمل والقائم به، حتى نتمكن من الاحاطة بالموضوع من كل جوانبه. وهذا يدفعنا طبعاً الى التساؤل التالي: من هي الجهات التي تقوم بأعمال ارهابية؟

اولاً، ان سلاح الارهاب الاساسي هو اشاعة الرعب بين مجموعة كبرى من الناس، على عكس الجريمة الفردية التي لا تحمل أي اهداف سياسية او ايديولوجية. ويعتقد Kidder ان الارهاب هو محاولة الضعيف لاضعاف القوي. (7) هذا الضعيف يبقى متهماً من قبل النظام القائم حتى يثبت انتصاره ويبسط سيطرته على كامل التراب الوطني فيحظى عندها باعتراف دول العالم به. هذه الدول اعتادت تاريخياً على الاعتراف بالامر الواقع بغض النظر عن طبيعة النظام القائم، ديكتاتورياً كان ام ديمقراطياً. اما لماذا يقوم الضعيف باعمال ارهابية فمرد ذلك الى هدفه في اظهار النظام القائم وقد فقد سيطرته كمقدمة لسحب الاعتراف الدولي به.

ثانياً، هناك الدولة المساندة للارهاب وللجماعات الارهابية لتحقيق اهداف سياسية خارج نطاق حدودها. اما نوعية المساندة التي تقدمها الدولة للجماعات الارهابية فانها قد تأخذ عدة اشكال اهمها:

أ. حرب اعلامية.
ب. فتح مكاتب ومعسكرات تدريب.
ج. تقديم المساعدات المالية والسلاح.

د. منح جوازات سفر مزورة.
هـ- تأييد مطالب الارهابيين . (8)

وتجدر الاشارة الى ان الطائرات الاميركية قامت بقصف ليبيا في عام 1986 بعد اتهام واشنطن للعقيد القذافي بايواء الارهابيين. وهذه الاتهامات نفسها وجهتها الادارات الاميركية المتعاقبة الى كل من العراق والسودان.

ثالثاً، هناك اخيراً الدولة الارهابية, وهي حالة من الارهاب الاشد فتكاً والاكثر خطراً وذلك لاسباب رئيسة ثلاثة:

1. العمل الارهابي هنا تقوم به الدولة من خلال شرطتها، جيشها، او بوليسها السري.
2. الدولة الارهابية قادرة على نقل الارهاب خارج حدودها، وربما عن طريق سفاراتها في الخارج.
3. الارهاب هنا مؤسساتي، اي تشارك به مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية كارهاب ستالين في الثلاثينات، وارهاب هتلر بين 1933 و1945.

وللدولة الارهابية خصائصها التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. قدرتها على تبرير اعمالها الارهابية على اساس المصلحة العليا للدولة، او بحجة الدفاع عن النفس.
2. استعدادها لممارسة الارهاب داخل نطاق حدودها الى درجة تنفيذ ابشع المجازر.
3. تأسيسها لفرق ارهابية لمعاقبة المنشقين في الخارج.
4. ممارسة الرقابة على وسائل الاعلام.
5. ابعاد المعارضين الى خارج حدودها.

6. انتهاج سياسة تربوية قائمة على التمييز العنصري، كممارسات النظام العنصري السابق في بريتوريا . (9)
7. استعداد هذه الدولة للقيام باعتداءات عسكرية مباشرة ضد جيرانها بحجة ملاحقة الارهابيين حيث هم. ويجمع العديد من الباحثين على كون العدوان هو اخطر انواع الارهاب. وفي عام 1974 عرّفت الجمعية العامة للامم المتحدة العدوان بأنه "استخدام القوة المسلحة من جانب دولة ضد سلامة ووحدة الاراضي الاقليمية، او الاستقلال السياسي لدولة اخرى، او بأي طريقة لا تتماشى مع ميثاق الامم المتحدة، كما هو محدد في هذا التعريف."(10)

في تشرين الثاني عام 1996 نشرت مجلة "تايم" الاميركية تحقيقاً مفصلاً اعتبرت فيه ايران دولة ارهابية. وفي نظر المجلة المذكورة، فان اوامر القتل والارهاب تصدر مباشرة من قبل وزارة الامن والمعلومات، ويقوم بها رجال دين ايرانيون او من يؤيدهم كمنظمة حماس وحزب الله. اما من يسهل اعمال طهران الارهابية على الساحة الدولية، والكلام لمجلة "تايم" الاميركية، فانها سفارات ايران في الخارج. وحصيلة تلك الاعمال الارهابية هي مقتل ما يزيد عن /1000/ شخص منذ انتصار الثورة الايرانية عام 1979. وتحتوي لائحة الضحايا على اسماء منشقين ايرانيين، وجنود فرنسيين واميركيين قتلوا في بيروت عام 1983، وتدمير المركز اليهودي في بيونس ايريس عام 1992. (11) وهذه الاعمال الارهابية العابرة للحدود الايرانية جعلت من ايران، او غيرها من الدول التي تقوم بأعمال وممارسات ارهابية مشابهة، جزءاً مما اتفق على تسميته في دوائر وزارة الخارجية الاميركية بالارهاب الدولي.

هذا الارهاب يكون من خلال الاعمال التالية:
1. الاحتجاز غير المشروع للافراد ومقايضتهم مع معتقلين من جهات اخرى.
2. خطف الطائرات المدنية.
3. الاعتداء غير المشروع على سلامة اراضي دولة مجاورة واحتلال

اراضيها.

ومع يقيننا بأن للعمل الارهابي اسبابه الاجتماعية والاقتصادية والايديولوجية والسياسية، الا ان الارهابي تحكمه حالة نفسية خاصة به تحمل السمات التالية:

1. فهو يؤمن بأن قضيته محقّة.
2. ويعتقد ان ما يقوم به هو الصحيح وليس هناك خيارٌ آخر للتغيير.
3. يدّعي المثالية ويجاهر بقرب انتصاره.
4. يعيش عادة نوعاً من العزلة الاجتماعية ويحمل السلاح لاثبات الوجود.
5. يمتلك استعداداً كاملاً للقتل دون تردد. (12)

ويستلخص مما تقدم ان للارهاب اشكاليته الخاصة ان من حيث تعريفه او تعداد اسبابه وشرح طبيعته وانواعه. غير ان ارهاب الدولة يبقى من اخطر انواع الارهاب على الاطلاق، فالدولة قادرة في اية لحظة على تبرير اعمالها الارهابية على قاعدة ان الدولة لا توصف بالارهاب، والارهاب هو صفة الافراد وليس الدول. ولربما من خلال تركيزنا على الارهاب كعمل نستطيع تسليط الضوء على قواعد وطبيعة الارهاب الذي مارسته الدولة الاسرائيلية ولا تزال.

• • •

اسرائيل دولة الارهاب:

يبدو جلياً مما تقدم ان لنا في موضوع العلاقة بين اسرائيل والارهاب اجتهاداً خاصاً تقتضيه المنهجية العلمية. فالرابط الاساسي والعضوي بين الارهاب والدولة العبرية لا يعود فقط الى ان تعبير الارهاب يدخل ضمن مسألة الصراع السياسي بين الضحية والجلاد، وانما ايضاً الى قدرة الدولة العبرية على اظهار ضحاياها بمظهر الارهابيين. هذه القدرة عند دولة اسرائيل لم تتحقق بسحر ساحر، بل بسبب الدعم الذي

لاقته تل ابيب من الدول الرأسمالية. فمع مطلع القرن العشرين كان عند الدول الرأسمالية اهدافاً توسعية تهدف الى السيطرة على مقدرات العالم تحقيقاً لمصالحها المادية. وتالياً، وجدت هذه الدول في اسرائيل حصان طروادة للسيطرة على طرق ومنابع النفط. هنا بالذات تكمن اهمية الحديث عن الارهاب كمفهوم جديد نشأ مع بداية السبعينات بعد تعاظم المواجهة مع الامبريالية وربيبتها اسرائيل.

ويبقى السؤال، كيف تمكنت دولة اسرائيل ومن قبلها الصهيونية العالمية من اجتذاب الدول الامبريالية، اي الدول صاحبة القرار على المستوى الدولي، الى جانبها في معركتها المنافية لكل قواعد الحق والعدل والسلام؟. ان الاجابة عن هذا التساؤل تدفعنا دون ادنى شك الى تحليل القواعد الاساسية لارهاب الدولة العبرية القائمة على مرتكزات دينية، وسياسية، وعسكرية.

اولاً، على المستوى الديني ، ان اي قراءة للعوامل النفسية الدافعة للارهاب الاسرائيلي تقود الباحث دون ادنى شك الى دراسة تاريخ بني اسرائيل وثقافتهم الدينية. والاهمية القصوى تعطى هنا للعلاقة القائمة بين اليهود وارض فلسطين ضمن الاطار التوراتي. فيهودية اسرائيل لها موقع خاص في تكوين الثقافة السياسية عند ابناء المجتمع لانها تتحكم بكل الشعور والايمان والتصرفات. وهكذا فان اقامة دولة اسرائيل عام 1948 قد مثّل بنظر اليهود تحقيقاً لنبوءة توراتية منحتهم موقعاً خاصاً في علاقتهم مع يهوه كشعبه المختار . (13) هذه الخصوصية اثمرت في نفوس اليهود احاسيس التفوق، وجعلتهم ينظرون الى غير اليهودي نظرات التباهي والاستعلاء والاحتقار. فالتعاليم الدينية لا تسمح لهم بالاندماج مع باقي الشعوب ولو عايشوها مئات السنين. كل ذلك لان إلههم" يهوه" انتقاهم من بين سائر الامم واختص بهم. "اكون لكم الهاً وتكونون لي شعباً"، كما جاء في سفر اللاويين. اما بقية شعوب الارض فمخلوقات خرجت من زرائب الحيوانات. (14)

ومع الصهيونية، الوليد السياسي للمعتقدات اليهودية، اصبحت الارض المغزوة ارضاً موعودة. كل هذا تم بأمر من يهوه. ففي المؤتمر الثامن والعشرين للصهيونية الذي عقد في القدس المحتلة، اعلن مناحيم بيغن: "انه لا يمكن الفصل بين القومية وبين الديانة اليهودية." (15) فدولة اسرائيل او حلم العودة الى ارض صهيون، كما يؤكد على ذلك Gray، هي "المبدأ الدائم المتوهج في ادب اليهود المقدس." (16) من هنا تعتبر الصهيونية، التي هدفت إلى تحقيق النبوءة التوراتية في ارض الميعاد، الترجمة السياسية للدين اليهودي. بكلمة اخرى، ان الاستيطان اليهودي في فلسطين وتهجير اهلها من ديارهم والقتل واحتلال اراضي الدول المجاورة وممارسة افظع المجازر، كل ذلك له ما يبرره دينياً. وتالياً، ما من سبيل لفهم الارهاب الاسرائيلي الا بالعودة الى التراث اليهودي المتمثل في التوراة.

ففي الفصل الرابع من سفر الخروج عدد 22، نقرأ : "هكذا يقول الرب، اسرائيل ابني البكر" وعليه، فان الحاخام كوهين في كتابه التلمود يعلن: "ان سكان الارض قسمان:اسرائيل والشعوب الاخرى، منظوراً اليها ككل. ان اسرائيل هي الشعب المختار، وهذه عقيدة اساسية." (17) وهذا يعني بوضوح ان اله اليهود هو اله خاص بهم وليس له اية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بالاله الواحد في الانجيل والقرآن. كما نقرأ في اسفار التوراة الصفات الاساسية ليهوه اله الحرب (خروج:3: 15)، والنار (خروج: 17 : 24)، والبراكين (خروج 18: 19). (18) اما في ما يتعلق مباشرة بمجال بحثنا فاننا نقرأ بأن يهوه هو اله المجازر والابادة الجماعية كما جاء في سفر التكوين 6: 7 حيث اباد يهوه جميع الكائنات الحية باستثناء نوح وعائلته. اما تعبير الابادة او Genocide فيعني التدمير المنهجي لمجموعة عرقية وابادة افرادها. هذا التعريف ينطبق حرفياً على حالة غزو يشوع لارض كنعان حيث أوصاه يهوه بان لا "تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً." (19)

ثانياً، على المستوى السياسي، تابع اليهود طلب يهوه في الابادة الجماعية للشعوب المجاورة وسرقة أراضيهم . (20) ولهذا، يستخلص اليازجي، "تعلّم اليهودية اليهودي ان كل شيء مباح له اذا كان يخص الغير. فالزنى والسرقة والكره والخديعة امور مباحة مع غير اليهودي". (21) لكن اليهود كانوا بحاجة الى آلية سياسية وعسكرية لتحقيق وعد يهوه لهم في الارض الممتدة من نهر مصر الى نهر الفرات وقد تمثلت بالصهيونية. ولا بد من الاشارة الى ان انتقاء يهوه لليهود كشعبه المختار لا معنى له خارج نطاق وعده لهم بأرض فلسطين. وليس صحيحاً القول بامكانية الفصل بين اليهودية والصهيونية لان كليهما يحتوي على تبرير ايديولجي لخلق دولة اسرائيل. ففي المؤتمر الصهيوني الاول الذي انعقد في بال– سويسرا عام 1897، اعلن هرتزل " ان الصهيونية هي العودة الى احضان اليهودية قبل الرجوع الى ارض صهيون، وان هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في التوراة والقاضي بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين." (22). وفي السياق نفسه اطلق ماكس ثوردو، المساعد الاول لهرتزل، عبارته الشهيرة: "اليهودية امّا ان تكون صهيونية او لا تكون." (23) كل هذا يعني ان الصهيونية لم تبدأ في مؤتمر بال، ولم تكن وليدة ظروف العداء للسامية التي ظهرت في اوروبا ابان القرن التاسع عشر، ولا يمكن تصنيفها كاحدى القوميات البورجوازية. بكلمة اخرى، الصهيونية ما كانت لتوجد لولا جذورها التوراتية. (24)

الصهيونية هي ايضاً حركة استعمارية. وبمعنى اكثر وضوحاً، ان الممارسات الارهابية الصهيونية المبررة دينياً، لها غطاؤها الاستعماري والامبريالي. ففي كتابه "التجربة والخطأ" يدعو حاييم وايزمن الحكومة البريطانية "للنظر في المشروع الصهيوني في ضوء مصالح الامبراطورية"، بحيث ان الدولة اليهودية سوف تكون الحامية لقناة السويس .(25) وهكذا جاء التمهيد العملي للارهاب الصهيوني من خلال وعد بلفور عام 1917 للصهيونية بأرض فلسطين "كوطن قومي لليهود". ذلك الوعد الاستعماري انكر هوية البلاد وشعبها معتبراً اياهم "بالسكان غير اليهود". الصهيونية، اذاً، هي الرابط بين وعد يهوه التوراتي ووعد بريطانيا السياسي، مما مكّنها

من ممارسة ابشع انواع الارهاب دون رادع او رقيب. حتى ان كل من يجرؤ على فضح الاكاذيب الصهيونية يوضع حكماً من قبل الدوائر الصهيونية في خانة العداء للسامية، تماماً كما حصل حديثاً للمفكر الفرنسي روجيه غارودي على اثر نشر كتابه "الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية".

ومع العلم ان العداء للسامية قد برز في اوروبا لاسباب دينية واقتصادية، الا ان المعنى السياسي لهذا التعبير قد اخذ مدلولات جديدة بعد نشوء دولة اسرائيل. فبامكان تل ابيب ان تمارس الارهاب على المستوى الدولي متسترة باتهام كل من يعارض نهجها او يكشف عن ممارستها الارهابية بالعداء للسامية. وتصبح الترجمة العملية لهذه المقولة على الشكل التالي:

1. موافقة اسرائيل على كل ما تقوم به.
2. عدم اتخاذ اي موقف الى جانب اي طرف معادٍ لاسرائيل.
3. ممارسة ضغوط من قبل اسرائيل على كل الهيئات الدولية والدول الكبرى لابتزازها واجبارها على الاستجابة لرغباتها.

هكذا وجدت الصهيونية الطريق مفتوحاً امامها لممارسة ارهابها السياسي عبر مقولة ان فلسطين هي ارض بلا شعب، وبالتالي هي ملك لشعب (اليهودي) بلا ارض. مع العلم ان الاحصاءات تشير الى انه في عام 1880 كان هناك 25000 يهوديّ في فلسطين مقابل 500 الف مواطن فلسطيني. اما في عام 1917، اي عام وعد بلفور، فان عدد اليهود في فلسطين لم يبلغ اكثر من ثمانية في المئة من مجموع سكانها، ولا يملكون اكثر من اثنين في المئة من مجموع اراضيها. اخيراً، في عام 1947، اي عشية الحرب العربية – الاسرائيلية الاولى، لم يكن مجموع السكان اليهود بالرغم من هجراتهم الكثيفة الى ارض فلسطين اكثر من ثلث السكان. (26)

وبناء على ما تقدم، يجب ألاّ يخدعنا احد بامكانية وجود حمائم صهاينة. فحتى اولئك الذين يتباهون بعضويتهم في الحزب الشيوعي الاسرائيلي لم يكونوا ابداً دعاة سلام بدليل مشاركتهم في الجريمة الارهابية الصهيونية في استلاب اصحاب الارض حقوقهم المشروعة. بيت القصيد هنا هو ان لا نقع في مطب المراهنات على "حمائم" حزب العمل في عملية التسوية الجارية فصولاً في عهد "صقور" تجمّع الليكود. من جهته يرى Friedman ان الاختلاف بين بن غورين وبيغن او بين بيريس وشارون هو في أساسه تكتيكي وليس جوهرياً. ويشرح Friedman ان بن غوريون قبل بقرار الامم المتحدة لتقسيم فلسطين عام 1947 كخيار افضل من استمرار الانتداب البريطاني، وليس لانه كان مستعداً للتخلي عن "حق اسرائيل الديني في كل الارض الموعودة." (27). زد على ذلك ان حزب العمل، وليس تجمّع الليكود، هو الذي اتخذ القرار العسكري باحتلال القدس، وهضبة الجولان السورية، وشبه جزيرة سيناء عام 1967. ولا بد من التساؤل هنا: اين تكمن اوجه الاختلاف بين حزبي العمل والليكود عندما يعلن شيمون بيريس في 1 حزيران 1995 لجريدة "الحياة" ان "اسرائيل لا تحتل اراضٍ عربيةً. اسرائيل هوجمت وانتصرت في الاراضي التي هوجمت فيها." (28) باختصار، ان زعماء اسرائيل على اختلاف اسمائهم هم خريجو مدرسة ارهابية واحدة عنوانها التوراة الصهيونية.

. . .

ممارسات اسرائيل الارهابية:

نعالج في هذا القسم ممارسات الدولة الاسرائيلية المستمدة من وعدي يهوه وبلفور، والتي تمّ ترجمتها عبر منظمات ارهابية يهودية كانت المؤسَّسة لما سمّي لاحقاً بجيش الدفاع الاسرائيلي. وفي هذا النطاق يمكن اعتبار منظمتي "الهاغانا" والارغون" الاكثر تنظيماً. مثال على ذلك ان دستور منظمة "الهاغانا" الذي عُدل عام 1943، اعتمد فيما بعد كأساس لتنظيم الجيش الاسرائيلي. اما مؤسسات الاستخبارات فهي اربعة: جهاز الاستخبارات العسكرية، مؤسسة الاستخبارات والمهمات الخاصة (الموساد)، جهاز الامن العام (شين بيت)، ومركز التخطيط والبحث

الاستراتيجي. (29) وفي عام 1950 تم انشاء لجنة خاصة للتنسيق بين كل هذه الاجهزة وتحديد اولوياتها.

وبالعودة الى تعريفنا السابق للارهاب، نلاحظ ان الارهاب الاسرائيلي اتخذ ويتخذ عدة اشكال منها الابتزاز، المجازر، اعتراض الطائرات المدنية، الاغتيالات، والتجسس. كل هذه الاعمال لم توجه فقط ضد الانسان العربي، بل طالت ايضاً الدول التي حالفتها او ناصرتها. ابرز الامثلة على ذلك تحميل اسرائيل كل الشعب الالماني وزر المحرقة . حتى الولايات المتحدة لم تكن بمنأى عن عمليات تجسس الموساد. ففي تشرين الثاني عام 1985 القت السلطات الاميركية القبض على جوناثان بولارد بتهمة التجسس لصالح اسرائيل. (30)

نبقى في مناقشة هذا النوع من الارهاب لنشير إلى انه في 19 شباط 1998 اعتقلت السلطات السويسرية خمسة عملاء تابعين لجهاز الموساد وهم يحاولون، دون علمها، وضع اجهزة تنصت على الهاتف في قبو منزل كان يقطنه احد اعضاء حزب الله منذ اربع سنوات. (31) ايضاً، في 25 ايلول 1997 تم اعتقال عميلين للموساد يحملان جوازات سفر كندية مزورة لدى محاولتهما اغتيال خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في الاردن. (32) حتى اللحظة لم تتقدم تل ابيب بأي اعتذار عن تلك الاعمال الارهابية بالرغم من انتهاك الموساد لسيادة دولتين مستقلتين هما كندا والأردن.

اما عن الارهاب كوسيلة عنف، فاننا نشير الى ان الحركة الصهيونية قدّمت امثلة مبكّرة على الارهاب الدولي في الشرق الاوسط وضد دول حليفة. اذ يكفي ان نعرف:

1. تفجير سفينة باتريا (Patria) وركابها على متنها في مرفأ حيفا في عام 1940 بقصد ممارسة الضغط السياسي على بريطانيا.
2. عملية اسرائيلية معروفة باسم "فضيحة لافون" ضد الممتلكات

الاميركية والبريطانية في مصر، وذلك لتوتير العلاقات بين واشنطن ولندن من جهة وحكومة الرئيس عبد الناصر من جهة أخرى في عام 1954. وقضية لافون هي نسبة الى وزير الدفاع الاسرائيلي بنحاس لافون. ففي منتصف تموز عام 1954 اصدرت الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية اوامر الى عملائها في مصر، ومعظمهم من اليهود المصريين, لتنفيذ أعمال تخريب ضد المنشآت الاميريكية والبريطانية في القاهرة والاسكندرية، وذلك لنسف العلاقات الاميريكية – المصرية، ولإعاقة تنفيذ الاتفاقية التي كانت الحكومتان المصرية والبريطانية على وشك توقيعها وتنص على جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس، ولهز ثقة الغرب بالحكومة المصرية التي ستبدو في صورة العاجز عن ضبط الامن في مصر. ولقد نجحت مجموعة العملاء في تنفيذ بعض أعمال التخريب، إلاّ أن أجهزة الأمن المصرية تمكنت من إلقاء القبض على هؤلاء العملاء ونفذّ حكم الاعدام في اثنين منهم وسجن الباقون مدداً طويلة. من جهتها شكلت الحكومة الاسرائيلية حينذاك لجنة تحقيق لمعرفة المصدر الحقيقي للأوامر المتعلقة بتنفيذ أعمال تخريبية في مصر، إلاّ أن القضية ظلت مرتبطة بلافون دون غيره بإعتباره المسؤول الاول عن الشؤون العسكرية حين وقعت الحادثة.

3. اغتيال اول وسيط للامم المتحدة، الكونت فولك برنادوت في 16 ايلول عام 1948. نفذت هذه العملية عصابة "شتيرن" وبأمر من اسحق شاميرلأن برنادوت كان قد اقترح إدخال تعديلات على قرار الأمم المتحدة عام 1947 بتقسيم فلسطين الى دولتين، وهو ما رأت فيه الدوائر الصهيونية اخلالاً بموازين القوى بين الدولة الصهيونية الناشئة والبلدان العربية المحيطة.
4. تدمير فندق الملك داود في القدس في 26 تموز عام 1946. وقد ذهب ضحية هذا الحادث الارهابي حوالي 100 موظف رسمي من البريطانيين والعرب. (33)

بالنسبة للاغتيالات، يكفي ان نذكر ان جهاز الموساد قام باغتيال قادة فلسطينيين في عواصم عالمية ومتمتعين بالحصانة الديبلوماسية. مثال على ذلك:

1. اغتيال كل من محمود الهمشري في باريس ووائل زعتر في روما خلال العام 1972 .
2. اغتيال الاديب الفلسطيني غسان كنفاني في بيروت في تموز عام 1972.
3. اغتيال كمال ناصر، كمال عدوان، ويوسف النجار في نيسان عام 1973.
4. اغتيال ابو حسن سلامة في بيروت عام 1976 .
5. اغتيال سعيد حمامي ممثل منظمة التحرير الفلسطينيية في لندن في شباط عام 1979.
6. اغتيال اسماعيل الفاروقي في فيلادلفيا ومنذر ابو غزالة في اثينا بين عامي 1985 و1986.
7. اغتيال خليل الوزير (ابو جهاد) في تونس عام 1988. (34)

وبالنسبة لاعمال القرصنة الجوية واختطاف الطائرات المدنية وتدميرها فاننا نشير الى ان الموساد قامت بالاعمال الارهابية التالية:

1. خطفُ طائرة مدنية سورية واجبارها على الهبوط في مطار اللدّ في كانون الاول عام 1954.
2. قيام سلاح الجو الاسرائيلي بغارة على مطار بيروت الدولي فدمر الاسطول الجوي اللبناني عام 1968.
3. في 21 شباط 1973، قُتِلَ مئة وشخصان حين اسقطت الطائرات الحربية الاسرائيلية طائرة ركاب ليبيبة مدنية متجهة من طرابلس الغرب الى القاهرة.
4. ارغم سلاح الجو الاسرائيلي طائرة ليبية صغيرة كانت تقل عدداً من كبار المسؤولين السوريين على الهبوط في احدى القواعد

الجوية الاسرائيلية في عام 1986. (35)

ولن ننسى في تعداد المآثر الارهابية الاسرائيلية ان احتلال اسرائيل للاراضي العربية يعتبر من افظع اشكال الارهاب على الاطلاق. فاسرائيل تحدّت ولا تزال كل القرارات التي تدعوها للانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ومنها قرار مجلس الامن رقم 242. اما بالنسبة للسكان العرب الرازحين تحت الاحتلال فقد مارست عليهم اسرائيل ابشع اساليب الارهاب، نذكر منها:

1. كسر عظام المتظاهرين.
2. تدمير المنازل.
3. اقفال الجامعات.
4. الاعتقال الاداري.
5. طرد الاشخاص بموجب ما يسمى باوامر الابعاد.
6. التعذيب النفسي والجسدي. (36)

اخيراً، تبقى المجازر واساليب الابادة الصفحة الاكثر سواداً في دليل اسرائيل الارهابي. من هذه المجازر نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1. مجزرة دير ياسين التي نفّذتها عصابة "الارغون" بقيادة مناحيم بيغن وادت الى ذبح 254 فلسطينياً في 9 نيسان 1948. ولقد علّق بيغن على ذلك فيما بعد، بقوله: " لولا النصر في دير ياسين لما كانت هناك دولة اسرائيل".
2. مذبحة اللد في 12 تموز 1948 حيث دخلت العصابات الصهيونية المدينة واطلقت النار على جميع المارة. واعترف القتلة بانهم قضوا على 350 عربياً.
3. قَتْلُ الجنود المصريين الاسرى في حربي 1956 و1967 ودفنهم في مقابر جماعية.
4. قصف طائرات الفانتوم لمنطقة ابو زعبل وقتل 80 عاملاً مصرياً في 12 نيسان 1970.

5. في 8 تشرين الاول عام 1990 ارتكبت قوات الاحتلال مجزرة الحرم الشريف والتي سقط خلالها 23 شهيداً واكثر من 300 جريحاً.
6. في 25 شباط 1994 قام باروخ غولدشتاين بقتل 40 عربياً، معتبراً عمله هذا " كنوع من الصلاة على قبر البطاركة اليهود."

اما في لبنان فيكمن القول بأن تاريخ الاعتداءات الاسرائيلية على هذا البلد هو تاريخ المجازر والارهاب. من هذه المجازر نذكر مجازر حولا (1948)، جانين (1967)، بنت جبيل (1967) ، عملية الليطاني (1978) والتي سقط خلالها 560 شهيداً، الاجتياح البربري عام 1982 وما تخلله من حصار مرعب لمدينة بيروت دام اكثر من 72 يوماً والاشتراك في مذابح صبرا وشاتيلا. وقد اوقع هذا الغزو الالاف من القتلى والجرحى عدا الخسائر المادية الباهظة. وفي تموز عام 1993 اقترفت اسرائيل مجازر اخرى ابان ما سمي بعملية "تقديم الحساب" والتي استمرت سبعة ايام. ولقد اسفرت هذه العملية عن استشهاد 133 شهيداً وتهجير 300 الف انسان من قراهم. (37)

واما قانا الجليل فان دمها لمَّا يجفّ بعد، واطفالها ما زالوا يبحثون عن الحقيقة. وعندما دوت صيحة موتهم عالية وحزينة في اروقة الامم المتحدة كان زعماء اسرائيل يضحكون في سرهم لان موت العرب لا معنى له في نظرهم، فهو وقود لدولة تخطو خطواتها منذ سنوات بعيدة على ارضنا العربية، بالدم والحديد والنار....(38) نعم، في 18 نيسان عام 1996 قصفت المدفعية الاسرائيلية، وعن سابق تصور وتصميم، موقع القوات الفيدجية التابع للامم المتحدة مخلفة 107 شهداء ومعظمهم من النساء والاطفال. وقد اشار تقرير الامين العام للامم المتحدة الصادر في 7 ايار 1996 الى "ان نسق سقوط القذائف في منطقة قانا يجعل من غير المرجح ان يكون قصف مجمع الامم المتحدة نتيجة اخطاء تقنية واجرائية." (39) المهم ان عملية عناقيد الحقد الاسرائيلية جاءت بعد انعقاد مؤتمر شرم الشيخ في 12 آذار 1996 تحت شعار "قمة صانعي السلام".

هذا المؤتمر انعقد لدعم شمون بيريس المتهم بالتقصير في الانتخابات البرلمانية والتي حُددت في 29 ايار 1996. وفي اليوم الثاني الذي اعقب المؤتمر تعهد الرئيس كلينتون بتقديم 100 مليون دولار لاسرائيل لمساعدتها على مكافحة الارهاب. (40)

. . .

في حديث الى صحيفة Jerusalem Post تاريخ 10 آب 1976، اعلن موشي دايان ما يلي: "لو ان الانسان ملك التوراة ونظر الى نفسه كشعب التوراة، لكان عليه ان يملك كل الاراضي التوراتية". بهذه القناعة اغتال ايغال عامير اسحق رابين في ٤ تشرين الثاني عام 1995، لان الاخير برأي عامير قد خالف امر يهوه بالحفاظ على الارض الموعودة. فمهما تعددت او تغيرت وجوه رؤساء الحكومات الاسرائيلية، يبقى الارهاب السمة الرئيسية للسياسة الاسرائيلية تجاه العرب:

- فشعب اسرائيل شعب ارهابي لانه استوطن بلاداً ليست ملكه.
- وجيش اسرائيل جيش ارهابي لانه يحتل أَراضيَ عربيةً دون اي وجه حق.
- وحكومة اسرائيل حكومة ارهابية أَكان رئيسها بنيامين نتنياهو ام يهودا باراك أم أرييل شارون أو غيرهم.

مع ذلك قد تتبادل تل ابيب وبعض العواصم العربية السفراء على قاعدة بعض الارض من جانب اسرائيل مقابل كل السلام من جانب هذه الدول العربية. الا ان هذا لن ينهي حالة الصراع في الشرق الاوسط.

واذا ما اردنا الاستفادة من عبر التاريخ فاننا نجد بين الحملة الصليبية الاولى وبين تحرير القدس على يدَي صلاح الدين قرابة القرنين من الزمن، ولم يستطع الغزاة خلالها التجذر في هذه الارض بالرغم من كل محاولاتهم الجدية لذلك.فلِمَ التهافت على السلم الاسرائيلي اذاً طالما ان ارضنا الطيبة لا بد من ان تحافظ على نقائها وطهارتها وتلفظ الغرباء المدنسين لترابها ولو بعد حين؟

المراجع

1. ع، حسين، الانتفاضة وتقرير المصير، بيروت، دار النفائس، 1992، ص، 46.
2. R. Clutterbuck , Terrorism in an Unstable World , (New York : Routledge, 1994) , p.3.
3. P. Sederberg , " Defining Terrorism , " In B. Schechterm and M . Slann , (ed) , Violence and Trrorism , (Guilford : The Dushkin Publishing Group, Inc. , 1993) , p.7.
4. W. Laqueur , " Postmodern Terrorism , " Foreign Affairs , (Vol : 75 , No: 5 , 1996) pp.24-25.
5. ع، حسين، المصدر السابق ، ص، 45-46.
6. P. Sederberg , " Defining Terrorism , " p.7.
7. R. Kidder , " Unmasking Terrorism , " In Violence and Terrorism , p.14.
8. P. Sederberg , " Explaining Terrorism , " pp.40-41.
9. M. Slann , " The state as Terrorist , " Violence and Terrorism , pp.68-73.
10. ع، حسين، المصدر السابق ، ص، 45.
11. T. Sanction , " Iran's State of Terror , " Time , November 1996 , pp.79-84.
12. R. Kidder , " The Terrorist Mentality , " In Terrorism and Violence , p.32.
13. N. Safran , Israel : The Embattled Ally , pp.92-94.
14. ر، اليازجي ، " قراءة جديدة للتوراة والتلمود ، " اتجاه ، العدد 5 ، آذار – نيسان1997 ، ص، 471-472 .
15. المصدر السابق ، ص، 472.

J. Gray , " Israel At 40 : A state Under Siege , " The Globe and Mail , 18 June 1988 , p.D1.

16. ر، غارودي ، الاساطير المؤسّسة للسياسة الاسرائيلية ، دمشق : دار عطية ، 1996 ، ص، 50 .
17. ي ، كفروني ، " المسيحية اليهودية ،" اتجاه ، المصدر السابق ، ص، 438.
18. المصدر السابق ، ص، 437-438.
19. ر ، اليازجي ، المصدر السابق ، ص، 474.
20. المصدر السابق ، ص، 474.
21. المصدر السابق ، ص، 473.
22. المصدر السابق ، ص، 473.
23. إ ، رعد ، الصهيونية الشرق اوسطية ، ص، 15.
24. حاييم وايزمن (1874-1952) : هو زعيم صهيوني، عالم كيميائي، وأول رئيس لدولة اسرائيل. ساهم في تأسيس الجامعة العبرية، كما ساهم في تأسيس أهم المعاهد العلمية في فلسطين الذي أصبح يعرف بعد ذلك بمعهد وايزمن للعلوم.
C.Weizman, Trial and Error , (London : Harper and Brothers , 1949) , p.243.
25. N. Safran , Israel : The Embattled Ally , pp.81-89.
26. T. Friedman , From Beirut To Jerusalem , p.259.
27. أ ، رعد ، المصدر السابق ، ص، 27.
28. Z. Schiff , A History of the Israeli Army , pp.191-193.
29. B. Woodward , Veil : The Secret Wars of The CIA 1981-1987 , (New York : Simon and Schuster , 1987) , p.478.
30. النهار ، 1998/2/27 ، ص، 13 .
31. المصدر السابق ، ص ، 13 .
32. ع ، حسين ، المصدر السابق ، ص ، 47-51.
33. C. Hoy and V. Ostrovsky , By Way Of Deception,(Toronto: Stoddart , 1990); See also G.

Jonas,Vengeance, (Collins : Lester and Orpen Dennys, 1984).

34. ب ، شرارة ، قانا وأخواتها ، بيروت ، عالم الفكر ، 1996، ص ، 130-133.
35. The Globe and Mail, 8 January 1988 , p.A7.
36. مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، حرب الايام السبعة على لبنان ، بيروت 1993.
37. من مقدمة الدكتورة جورجيت عطية ابراهيم لكتاب غارودي، ص، 7.
38. ب ، شرارة ، المصدر السابق ، ص ، 334.
39. ملف النهار ، من عناقيد الغضب الى سقوط بيربيس ، حزيران 1996 ، ص ، 15

الفصل الخامس
دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية !

ان مناقشة دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية في الشرق الاوسط تفرض الملاحظات التالية.

اولاً، ان لكل جيش في العالم دوراً ما يلعبه، ان لم يكن ذلك باشتراكه في القتال ضد دول وجيوش معادية في حالة الحرب، فعلى الصعيد الاقتصادي في حالة السلم. فالجيوش تمر دائماً بمراحل تطوير لتنظيمها وتصنيعها الحربي وما يجلبه ذلك التصنيع مثلاً من ايرادات، او لردع الدول المعادية حتى من التفكير بشن حرب خوفاً من النتائج المدمرة لاعتدائها.

ثانياً، ان السلام حتى في المطلق، لا يلغي الحاجة الى جيش قوي خاصة عندما يتعلق الامر بوحدة البلاد وامنها الداخلي. فاسرائيل، مثلاً، تعيش دوماً هاجس الخطر الخارجي عليها دون النظر فيما اذا كان الخطر واقعياً ام من نسج الخيال والاوهام. وبالرغم من توقيعها لمعاهدات "سلام" مع ثلاث جهات عربية (مصر والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية)، دأبت الدولة العبرية في الحديث عن الحاجة لمحاربة "الارهاب الدولي"، وفي كل هذا ما يقوّي وحدة الاسرائيليين ضد الخطر الجديد وينسيهم ان دم اسحق رابين قد اهرق على يد يهودي.

ثالثاً، ان عنوان الفصل وضعنا امام التساؤلات الاتية: هل ان مرحلة التسوية تختلف من حيث طبيعتها وعناوينها عن مرحلة ما بعد التسوية؟ وهل يمكن لمرحلة ما بعد التسوية ان تشهد حرباً يشارك فيها الجيش الاسرائيلي؟ ان الجواب عن كلا التساؤلين هو بنعم كبيرة.

أ- ان التسوية بين العرب واسرائيل، وان كانت ممكنة، فإن ذلك لا يعني انتفاء الصراع السياسي والاقتصادي والتكنولوجي. مثال على ذلك ان تبادل السفراء والتوقيع على مواثيق ومعاهدات شتّى لم يلغ الصراع بين موسكو وواشنطن ابان الحرب الباردة.

ب- ان ما حصل من توقيع لمعاهدات "سلام" بين اسرائيل وبعض الجهات العربية لا يعدو كونه مسألة "تسوية" ظرفية وغير متوازنة. واسرائيل تعي تماماً خطورة هذه المسألة، لان السلام الدائم لا يمكن ان تضمنه تلك الجهات العربية القلقة.

ج- ان السلام لم يعد يعني فقط غياب العنف، وانما ايضاً تحقيق العدالة والديمقراطية والعيش الرغيد. وان غياب هذه القواعد الرئيسة عن عملية السلام في الشرق الاوسط يضع دول المنطقة امام امكانية حصول حرب اقليمية في ايَّ لحظة. وهكذا نرى ان عنوان هذا الفصل يلحظ دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية العربية – الاسرائيلية، وليس في مرحلة ما بعد السلام.

اخيراً، يتناول هذا الفصل العناوين الرئيسة التالية:

- العنوان الاول، يعالج الجيش الاسرائيلي تاريخاً وتنظيما ودورا. لان الحاجة تقضي العودة الى التاريخ كمخزون للمعرفة لاستقراء المرحلة الحاضرة والمستقبلية لدور الجيش الاسرائيلي في المنطقة.

- العنوان الثاني يناقش المبدأ العسكري الاسرائيلي والعوامل المؤثرة في تكوين ذلك المبدأ. والمقصود بالمبدأ العسكري هو قراءة الخطوط العريضة لخطط اسرائيل العسكرية كما طبقتها في حروبها مع الدول العربية.

- العنوان الثالث والاخير يحلل بالتفصيل الدور البارز الذي سوف يلعبه الجيش الاسرائيلي بعد انتهاء المفاوضات العربية– الاسرائيلية.

. . .

جيش الدفاع الاسرائيلي:

من الصعب اعطاء صورة واضحة عن دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية دون قراءة تاريخ وتنظيم الدور الذي قام به على اثر تأسيس دولة اسرائيل. ان تأسيس الجيش الاسرائيلي يعود الى الهجرات اليهودية المتتالية التي استوطنت فلسطين. وكان ان انضم عدد كبير من هؤلاء المهاجرين الى منظمات عسكرية صهيونية نذكر منها: هاشومير او المراقبين، الهاغانا او الاتحاد العام للعمل، الاراغون او المنظمة العسكرية الوطنية. يمكن اعتبار الهاغانا الاكثر فعالية وتنظيما ان من جهة تجنيد مقاتلين جدد او من جهة جمع الاموال وشراء السلاح. اما اهمية هذه المنظمة الكبرى فتكمن في تعديل دستورها عام 1943 والذي يشكل القفزة النوعية في تطور هذه المنظمة لتصبح تسميتها جيش الدفاع الاسرائيلي او "تساحال". (1)

يحتل تساحال اليوم موقعاً مميزاً داخل المجتمع الاسرائيلي. فأكثرية الاسرائيليين مرتبطة بالجيش من خلال خدمتهم الفعلية او الاحتياطية، او من خلال عملهم في المصانع العسكرية. ويعزو Schiff هذا الارتباط العضوي بين الجيش والمجتمع، ليس الى ظاهرة المجتمع العسكري، بل كإنعكاس لوجود اسرائيل القلق. وهذا ما يفسر لنا ان عدد افراد الجيش الاسرائيلي يبلغ حوالي 500 الف عنصر في دولة لا يزيد عدد سكانها على اربعة ملايين نسمة. (2) اما الخدمة العسكرية الالزامية اليوم فهي ثلاث سنوات للرجال وعشرين شهراً للنساء.

اما من الناحية التنظيمية، فيشبه تنظيم الجيش الاسرائيلي الى حد كبير النموذج البريطاني. فهيئة الاركان هي القائد العام للقوات المسلحة

الجوية والبرية والبحرية، وتعتبر "العقل المدبر" للجيش لانها تساهم في وضع الخطط الاستراتيجية والتكتيكية على السواء. ومع ان القوات الجوية والقوات البحرية لها مراكز قيادية شبه مستقلة، إلاّ أنها تخضع لتوجيهات رئاسة الاركان. هذا يعني ان رئيس الاركان هو القائد الفعلي للقوات المسلحة ومسؤول امام الحكومة عبر وزير الدفاع . (3) اما مسؤولية هذا الاخير فتتناول رسم موازنة الدفاع والاشراف العام على الانتاج الحربي، بيد ان رؤساء دوائر الموازنة والبحث الصناعي والانتاج الحربي يعملون كمستشارين عند رئيس هيئة الاركان. مّما يتيح له ان يلعب دوراً اساسياً في وضع السياسة الدفاعية في اوقات الحرب والسلم .(4)

من ناحية المبدأ يخضع الجيش الاسرائيلي للسلطة السياسية، غير انه عبر السنين تمكن هذا الجيش من التأثير على سياسة اسرائيل الخارجية. (5) والسبب في هذا التطور يعود للعوامل التالية:

اولاً، على الصعيد القانوني:

في ظل غياب الالية الدستورية يبدو تساحال لا يخضع للسلطة السياسية خاصة فيما يتعلق بصنع القرارات المرتبطة بقضايا الامن القومي. مع العلم انه في عام 1968 تم وضع قانون اساسي للجيش يمنح السلطة السياسية صلاحيات واسعة في تحديد السياسة الدفاعية، الا ان هذا القانون لم يشر الى طبيعة العلاقة بين وزير الدفاع ورئاسة الاركان. (6) وفي نظر البعض، ان غياب الالية القانونية التي يجب ان تحدد دور الجيش الاسرائيلي قد وفر لارييل شارون، عندما كان وزيرا للدفاع في حكومة مناحيم بيغن، هامشا كبيرا من حرية الحركة في قيادته للجيش الاسرائيلي حتى ابواب بيروت ومحاصرة المدينة صيف 1982.

ثانياً، على صعيد العلاقة مع السلطة السياسية:

يبدو الجيش سيد نفسه في تقرير شؤونه، ويعود الفضل في ذلك الى ديفيد بن غوريون الذي جمع في شخصه رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع بين 1948 و1963. فمع ايمانه بضرورة خضوع الجيش للسلطة السياسية،

الا ان بن غوريون منع تدخل السياسيين في الشؤون العسكرية، وهذا دليل يشير الى رغبة بن غوريون في اتخاذ القرارات العسكرية خلف ابواب موصدة دون معرفة او علم اعضاء الكنيست او الوزارء مما اتاح للجيش تحديد سياسته العسكرية خارج نطاق الدائرة السياسية. فالترتيبات لحرب السويس عام 1956 لم يعلم بها غير القليل من القادة السياسيين بعد ما اضحى الامر نهائياً وواقعياً .(7) ومع العلم ان هذا النهج له ما يبرره من ناحية الحاجة الى السرية في صنع القرارات العسكرية، الا ان تحكم الجيش بشؤونه قد سبب متاعب كثيرة لدولة اسرائيل خاصة ابان اجتياحها للبنان عام 1982.

ثالثاً، على الصعيد الاداري:

يملك الجيش الاسرائيلي جهازا اداريا متطوراً يغنيه عن "النصيحة" السياسية. فوزير الدفاع هو الذي يحدد حجم الموازنة العسكرية وكيفية صرفها على القطاعات العسكرية. اضف الى ذلك ان تساحال يملك جهازَ استخباراتٍ متطوراً وله علاقاته الخارجية المستقلة عن دوائر وزارة الخارجية. فزيارة رئيس وزراء جنوب افريقيا لتل ابيب عام 1976، مثلا، تمت بناء على دعوة قيادة الجيش الاسرائيلي وخارج نطاق دوائر الخارجية الاسرائيلية.

اخيراً، على الصعيد الاجتماعي ، يعتبر الجيش الاسرائيلي جزءا لا يتجزأ من الحياة العامة والسياسية في اسرائيل. اما تأثيره القوي على صنع القرارات المتعلقة بالامن القومي من المنظور الاجتماعي فتعود الى الامور التالية:

1. الخدمة العسكرية الالزامية والتي تطال حياة كل المواطنين وكل الشرائح الاجتماعية.
2. استيعاب تساحال لخمس اليد العاملة الاسرائيلية.

3. ميل اكثر قادة الجيش بعد تقاعدهم الى الانخراط في الحياة السياسية امثال رابين، بيريس، دايان، شارون، ايتان، باراك، وغيرهم . (8)

باختصار، ان سيطرة الجيش الاسرائيلي على القرارات المتعلقة بقضايا الامن القومي والدفاع يمكن ملاحظتها من خلال التحضير للحرب، والمساهمة في الانتاج القومي من خلال تصنيع الاسلحة والاجهزة المتطورة التي يصدرها الى دول اخرى. لكن كل ذلك لا يعني ان دور تساحال يشبه الدور الذي تقوم به جيوش دول العالم الثالث. فقد نفّذ هذا الجيش، مثلاً، قرارات الحكومة المتعلقة بالانسحاب من سيناء في عام 1956، وايضاً في عام 1982، وهذه الامثلة تعطي البرهان على خضوع هذا الجيش للسلطة السياسية مما يوحي بأن علاقته مع الحكومة يعتريها نوع من "التناقض المنسجم". فالجيش الاسرائيلي هو في الوقت نفسه مستقل عن السلطة السياسية وخاضع لها، ومتعالٍ عن الصراعات السياسية الداخلية ولكنه حام للحكومة المنتخبة. وقد حقق هذا الجيش انتصارات عسكرية في معظم الحروب التي خاضها ضد الجيوش العربية، فدولة اسرائيل ولدت ابان الحرب العربية–الاسرائيلية الاولى، وشن هذا الجيش حرباً خاطفة ضد مصر عام 1956، واحتل اراضيَ عربيةً اضافية عام 1967، وغيّر، ولكن بمساعدة اميركية، مسار حرب عام 1973 لصالحه في مراحلها الاخيرة.

. . .

المبدأ العسكري الاسرائيلي:

ان المبدأ العسكري لدولة اسرائيل لا يمكن قراءته في اي بيان رسمي لحكومة تل ابيب. غير انه بامكاننا استنباط ذلك المبدأ من خلال الحلول التي وضعها تساحال لنفسه لمواجهة التحديات العسكرية من المنظار الاسرائيلي البحت. وهذه التحديات يمكن تلخيصها على النحو التالي: الخطر العربي، المشكلة الديمغرافية، والشروط الجغرافية والاقتصادية.

اولاً، بالنسبة للخطر العربي، فاسرائيل تقع في منطقة غير مستقرة امنياً وسياسياً، وهي كانت تاريخيا ترى نفسها محاصرة بأعداء يهدفون ليس فقط الى تحقيق نصر عسكري محدود وانما العمل على ازالتها من الوجود. خاض الجيش الاسرائيلي، تاريخياً، خمس حروب كبرى مع العرب ويعتبر نفسه اليوم رأس الحربة في مواجهة "الارهاب الدولي". وغني عن القول ان هذه الحروب قد تركت بصماتها على طريقة التفكير الاسرائيلي. فبينما تهتم اكثر دول العالم بالمسألة الامنية، تعتبرها تل ابيب قضية حياة او موت. ويعود ذلك الى رفض الدول العربية الاعتراف بوجودها.

ثانياً، هناك الشرط السكاني، فاسرائيل تواجه وضعاً ديمغرافياً غير ملائم، ودائماً تتحدث اجهزة اعلامها عن القدرة السكانية العربية مبينة ان حوالي 4,2 مليون يهودي يواجهون 140 مليون عربي. من المنظار العسكري، هذا يعني ان للعرب القدرة على اقامة جيوش ضخمة العدد، فيما تعتمد تل ابيب على قطاع الاحتياط المستعد دائما للحرب عند انطلاق صفارات الانذار. ولقد اختبر الاسرائيليون حدة المشكلة الديمغرافية في الجيش وعلى صعيد المجتمع ككل ابان حرب تشرين عام 1973 بحيث ان الخسائر البشرية التي تكبدها الجيش قد احدثت ازمة حقيقية عند الاسرائيليين .(9)

ثالثاً، بالنسبة للشرط الاقتصادي، فان اسرائيل تنفق حوالي 30بالمئة من مجمل الدخل الوطني العام على التسلح. اضافة الى ذلك فان غياب السلام في الشرق الاوسط دفع بالدولة العبرية الى الاعتماد على المساعدات الخارجية. ومن الاهمية ان نذكر ان الديون المالية الناتجة عن الانفاق على الواردات العسكرية قد اسهمت في زيادة العجز المالي. فتل ابيب تحصل على 3 مليارات دولار سنويا كجزء من المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تقدمها لها واشنطن وقد أوجدت هذه المساعدات خوفا لدى قادة اسرائيل من التأثير الذي قد توظفه واشنطن على قرارات تل ابيب الاستراتيجية، مع العلم انه ليس بمقدور اسرائيل الاستغناء عن تلك المساعدات في المدى المنظور . (10) فاسرائيل

تطالب بالمساعدات العسكرية من واشنطن لتفاوض العرب من موقع القوة، وعند ذلك لا يرى قادة اسرائيل اي حاجة الى التفاوض.

اخيراً، ان المبدأ العسكري الاسرائيلي قد تأثر بالمساحة الجغرافية الضيقة لدولة اسرائيل، اذ ان مساحة فلسطين المحتلة لا تزيد عن 20700 كلم^2 بحدود مشتركة مع كل من لبنان وسوريا والاردن ومصر، بحيث ان تل ابيب تفتقر الى العمق الاستراتيجي الذي يحتاجه اي جيش في مواجهة اية مفاجأة عسكرية. وهذا يعني ان اسرائيل محرومة في حالة الحرب من اجهزة انذار مبكر تكشف لها اي هجوم بالصواريخ .(11)

وللتعاطي مع هذه الشروط غير الملائمة من الناحية العسكرية، فقد طورت اسرائيل مبدأها الاستراتيجي على الصعيدين السياسي والعسكري. مثال على ذلك، اذا نشبت الحرب فتل ابيب مستعدة لوضع تفوقها العسكري موضع التطبيق كانزال اقصى درجات الخسائر البشرية والمادية واجهاض اية قدرة عسكرية عربية بأسرع ما يمكن. وعليه، ولمنع نشوب الحرب فقد اعلنت اسرائيل ما تعتبره سبباً لنشوب القتال (CASUS BELLI) كالتدخل العربي في حرية الملاحة عبر مضيق تيران، او احتمال امتلاك اية دولة عربية للقنبلة النووية . (12)

يرتبط بعامل الردع هذا امتلاك اسرائيلي لخيار المبادرة العسكرية لمنع اي اهتزاز في تفوقها الاستراتيجي. فعلى الصعيد السياسي، تعمل تل ابيب من خلال تنسيق تفاهم مع دول كبرى كما حصل عام 1956 عندما نسّقت اسرائيل عدوانها على مصر مع كل من باريس ولندن، او كما فعلت الدولة العبرية في حصولها على الضوء الاخضر الاميركي في اجتياحها للبنان عام 1982، وفي حملة "عناقيد الغضب" في نيسان عام 1996. اما على الصعيد العسكري، فان افتقار اسرائيل للعمق الاستراتيجي المذكور يفرض عليها العمل على انهاء الحرب بأسرع وقت ممكن للحد من الخسائر البشرية، كما يفرض عليها اعتماد الهجوم كحل افضل من اعتماد التكتيك الدفاعي لنقل المعركة الى داخل حدود العدو.

ولقد عرف عن الجيش الاسرائيلي محاولته خرق الحدود الاضعف على مستوى الدفاع، واعتماد عنصر المباغتة والادارة اللامركزية لتنفيذ الخطط العسكرية . (13) وبالنظر الى هذه الاخيرة، فقادة تساحال مدربون على اتخاذ القرارات العسكرية كما تفرضها المعركة التي يواجهونها دون حاجة الى موافقة السلطة العسكرية العليا. (14)

اخيراً، وبايجاز، ولتحقيق اهدافه العسكرية يعتمد الجيش الاسرائيلي على سرعة قوات المظليين، ومساندة القوات الجوية وعنصر الاستخبارات، والاهم من كل هذا فقادة الجيش الاسرائيلي مقتنعون بضرورة ابعاد الخطوط الدفاعية قدر الامكان عن التجمعات السكانية والمراكز الصناعية. وباختصار، فان مبدا اسرائيل العسكري يعتمد على الاسس التالية:

1. ان تنزل بالجانب العربي اكبر قدر ممكن من الخسائر وفي الساعات الاولى للحرب.
2. ان تكون لها الضربة العسكرية الاولى.
3. ان تقاتل على الجانب العربي من الحدود.
4. ان تحقق اهدافها العسكرية بأسرع وقت ممكن.
5. ان تحظى دائما بتأييد دولة كبرى.

وقد ارادت اسرائيل من وراء اعتمادها هذه المبادئ العسكرية ان تمنع الجيوش العربية من تحرير اي شبر بقوة السلاح .(15)

لا بد من الاشارة الى ثلاثة عوامل ملائمة لتعزيز قدرات اسرائيل العسكرية :

- العامل الاول: محصور بمساحة اسرائيل الجغرافية. صحيح ان صغر مساحة الدولة العبرية يحرمها من العمق الاستراتيجي الذي تحتاج اليه في حربها مع العرب، الا ان هذا العامل عينه يمنح الفرصة للجيش الاسرائيلي على تركيز قواته على جبهة واحدة،

والى نقل تلك القوات عند الضرورة من جبهة الى اخرى، كما حدث يوم 16 تشرين الاول عام 1973 عندما اعلن الرئيس انور السادات عن استعداده لوقف اطلاق النار على الجبهة المصرية مما دفع بالجيش الاسرائيلي لنقل قواته الى الجبهة السورية في غضون ساعات. اضف الى ذلك ان موقع اسرائيل الجغرافي في قلب العالم العربي وتفوقها التكنولوجي في هذا المجال قد منح الدولة العبرية الفرصة للتشويش على اجهزة الاتصال بين الجيوش العربية.

- العامل الثاني: اعتماد اسرائيل على المساعدات الاقتصادية الاميركية، لم يمنعها من العمل على ربط الصناعة العسكرية بعجلة الاقتصاد الوطني وسوق العمل. ويذكر كل من Wardو Mintz في هذا السياق ان الموازنة العسكرية الاسرائيلية توظف كأداة اقتصادية لتعزيز الاقتصاد الوطني. لذلك، فان اكثر من 50 بالمئة من مجمل الاستثمار الصناعي يتم في القطاع العسكري، لما لذلك من اهمية في تأمين العمل، والخدمات لعدد كبير من الاسرائليين .(16)

- العامل الثالث: الوحدة الوطنية المتماسكة في وجه الخطر الخارجي هي عامل دعم لقدرات اسرائيل الاستراتيجية. فهاجس "لا مكان اخر تلجأ اليه" يجبر الاسرائيليين على التماسك والوحدة، وباختصار، فان الانسجام الداخلي يتيح لاسرائيل توظيف كل قواها العسكرية ابان الحرب بعكس العادة المتبعة في اكثر دول العالم الثالث حيث توظف الجيوش لحماية الانظمة القائمة .(17)

. . .

دور الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التسوية ! :

لا يمكن ان يتبادر الى ذهن احد ان التسوية بين اسرائيل والدول العربية تعني انهاء دور الجيش الاسرائيلي العسكري والاقتصادي والاجتماعي. نورد هذه المقولة لان السلام في الشرق الاوسط لن يؤدي الى انهاء التنافس على اصعدة عدة غير عسكرية، وما يلزم ذلك من "ديبلوماسية القمع"او (Coercive Diplomacy). ولقد دلت الحرب الباردة السابقة بين موسكو وواشنطن على اهمية الدور الذي يمكن ان يلعبه الجيش القوي بالرغم من عدم الحاجة الى استعماله.

ان اهمية الجيش لا تنبع فقط من قدرته على القتال بل ايضا من مدى تأثيره على منع حصول الحرب لما قد يسبب اشتراكه في القتال من خسائر على الدولة المعتدية. وهذا الامر ينطبق ، من دون شك، على الجيش الاسرائيلي الذي يمتلك احدث المعدات العسكرية التقليدية منها والنووية، وما يوفر ذلك من رادع للاعداء، حتى عن التفكير بامكانية البدء بالحرب والانتصار فيها. ويبدو ان الاسرائيليين مقتنعون اكثر من اي يوم مضى بأن تفوقهم العسكري، هو الذي اقنع اكثر قادة العرب باعتماد السياسة الواقعية والاعتراف بدولة اسرائيل كأمر نهائي.

اما من الناحية العملية، فهناك عدة عوامل توفر للجيش الاسرائيلي دورا اكثر فعالية في مرحلة ما بعد التسوية. العامل الاول هو ان اسرائيل كانت وستبقى دولة غير عربية في شرق عربي. وبما ان المجتمع العربي لا يزال منقسما حيال وجود اسرائيل بين "معتدل" و"متطرف"، فتل ابيب لا يمكنها ان تركن الى امنها. وما العمليات الاستشهادية التي قامت بها منظمة حماس في العمق الاسرائيلي وادت الى مقتل 60 اسرائيليا ما بين شهري شباط واذار 1996 الا الدليل الساطع على حاجة اسرائيل الدائمة لتعزيز قدراتها العسكرية ولتعميق تحالفها مع واشنطن. (18)

العامل الثاني الذي يستدعي دورا اكثر فعالية للجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد السلام ينبع من صعوبة اندماج اسرائيل في سوق شرق اوسطية جديدة، وهذا عائد الى سببين رئيسيين:

السبب الاول يكمن في عدم وجود سوق عربية مشتركة حتى في غياب اسرائيل. وهذا يعني انه بعد انتهاء الصراع العربي – الاسرائيلي ستطفو المشاكل العربية – العربية على السطح، وربما، قد تأخذ تلك الخلافات منحى عسكريا، الامر الذي يدفع باسرائيل الى اشراك جيشها في القتال الدائر لان من مصلحتها ان تنتصر دولة عربية على دولة عربية اخرى لتبقى بذور الصراع قائمة على الساحة العربية. فتل ابيب تقوم بخطوات متينة بغية ضم الاردن الى الحلف الامني التركي – الاسرائيلي الذي تم الاعلان عنه في ايلول عام 1998، والذي يهدف اساسا الى تطويق سوريا ولبنان. اضف الى ذلك ان اتفاق "واي بلانتايشن" الذي تم التوقيع عليه في 23 تشرين الاول 1998، قد حقق عمليا حلفا امنيا فلسطينيا–اسرائيليا وبرعاية C.I.A ضد كل عربي يعارض "عملية السلام".

السبب الثاني الذي يمنع اندماج اسرائيل في سوق شرق اوسطية مشتركة، ينبع من نظرة اسرائيل الى تلك السوق. وبيريس يطرح في مذكراته Battling for Peace او "معركة السلام" تصوره لمستقبل المنطقة، على اساس استعداد بلاده لتقاسم المياه والارض مع جيرانها، مع رفضها لانهاء الاستيطان، او اشتراك العرب في تقاسم النفوذ المصرفي، او التخلي ولو تدريجيا عن ترسانتها النووية .(19) بمعنى اكثر دقة، ان مستقبل علاقة اسرائيل مع العالم العربي في اطار عملية السلام تتحكم بها المقولة التالية: ما هو لاسرائيل هو لاسرائيل وحدها، اما ما هو للعرب فهو للعرب وللاسرائيليين معا. ومن المؤكد ان هذه المقولة والسياسات الناتجة عنها سوف تخلق الكثير من الشكوك وقد تؤدي الى ظهورحركات اصولية متطرفة جديدة، يهودية وعربية غير مقتنعة بوعود السلام البارد.

أما العامل الثالث الذي يعزز دور الجيش الاسرائيلي في المستقبل فإنه يعود لرفض اسرائيل السماح لاية دولة عربية إمتلاك السلاح النووي مهما كان الثمن. وهذا ما يفسر لنا استعداد تل ابيب الدخول في تحالفات عسكرية مع دول شرق اوسطية ولكن غير عربية، لان اي تحالف

عسكري بين اسرائيل واية دولة عربية قد يسهل لهذه الاخيرة التعرف الى التكنولوجيا العسكرية الاسرائيلية المتطورة مما قد يخل بمبدأ تفوق اسرائيل العسكري. ولقد لاحظنا حديثا دعوة بيريس الى اقامة حلف دولي ضد العراق وليبيا وايران متهما الاخيرة بالسعي للحصول على الخيار النووي .(20) وبدأت تظهر في الافق معالم دعوة بيريس من خلال الاعلان عن الاتفاق الجوي بين انقرة وتل ابيب الذي سمح للطيارين الاسرائيليين باستخدام الاجواء التركية للتدريب، وما لهذا الاجراء من تهديد لامن العديد من الدول العربية وايران .(21)

ويرتبط العامل الرابع الذي يوفر دورا فاعلاً للجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد الصراع العربي – الاسرائيلي بكيفية حماية المصالح الاسرائيلية في الشرق الاوسط الجديد. وقد اعلن ايغال الون قديما ان المستوطنات اليهودية هي التي سوف تحدد حدود اسرائيل. وربما بسبب وجود هذه المستوطنات لم ينه اعلان "غزة – اريحا أولاً،" الاحتلال بدليل ان الجيش الاسرائيلي لم ينسحب من قطاع غزة بل اعيد توزيعه لحماية المستوطنات ومصادر المياه. واليوم، اذا تحقق السلام، فان الجيش الاسرائيلي مدعو لحماية الاستثمارات الاسرائيلية في الدول العربية. وهذه الحماية لا تتم فقط من خلال التواجد الفعلي للجيش الاسرائيلي، بل من خلال استعداد هذا الجيش للرد على اي اعتداء يطال المصالح الاسرائيلية في العالم العربي.

اخيراً، إن الدور الجديد للجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد السلام مرتبط بالعامل الاجتماعي داخل اسرائيل، وفي قدرة هذا الجيش على منع حرب اهلية داخلية. فحتى الرابع من تشرين الثاني عام 1995 لم يكن احد ليتصور ان يهوديا يقدم على قتل يهودي، كما ان عملية اغتيال رابين اظهرت عمق وجدية الانقسام الداخلي حول عملية السلام، ومهما تكن نتيجة اية انتخابات اسرائيلية ، فان ذلك لن يدخل اي تغيير جذري على استراتيجية تل ابيب للسلام بغض النظر عن ماهية صاحب الرؤية السياسية الحاكمة. فالنظام الانتخابي الاسرائيلي يمنع على اي من الليكود

او العمال تحقيق فوز ساحق في الانتخابات، ويجبره في الوقت عينه على الاعتماد على الاحزاب الدينية المتطرفة للحكم. ويقولJoseph Alpher في هذا السياق ان "صيغة الارض مقابل السلام" لن ترى النور الا اذا تمكن الليكود او العمال من تحقيق نصر ساحق في الانتخابات .(22) وهذا ما يفسر لنا عملية "عناقيد الغضب" العسكرية ضد لبنان كمحاولة اخيرة من بيريس لاسترضاء احزاب اليمين قبل الانتخابات البرلمانية التي حصلت في ايار عام 1996.

يستخلص مما تقدم ان للجيش الاسرائيلي دورا رئيسيا في مرحلة ما بعد تحقيق التسوية في الشرق الاوسط، والى جانب العوامل التي ذكرت آنفا، فان استحالة تحويل التصنيع الحربي الاسرائيلي للاغراض السلمية، وارتباط الالة العسكرية بحركة الاقتصاد المحلي، ووتيرة سباق التسلح في المنطقة، سوف تفرض على اسرائيل الاعتماد اكثر فاكثر على آلتها العسكرية.

. . .

لقد تناول هذا الفصل دراسة الدور الذي يمكن ان يلعبه الجيش الاسرائيلي في مرحلة ما بعد التوقيع على معاهدات التسوية بين تل ابيب والدول العربية، ولقد لاحظنا من خلال قراءتنا التاريخية، والتنظيمية، والعسكرية، ان هذا الجيش مرشح لان يلعب دورا اكثر فعالية، في المستقبل لحماية مصالح دولته الاقتصادية اينما وجدت في العالم العربي. اضف الى ذلك، ان الانقسام الداخلي الحاد في اسرائيل يفرض على هذه الدولة البحث الدؤوب عن عدو خارجي لتعزيز الوحدة الوطنية.

اخيرا ان التحالف العسكري الجديد الذي اقامته انقرة مع تل ابيب في 23 شباط 1996 يوحي بأن هذه الاخيرة ليست مطمئنة بعد الى مستقبلها بالرغم من معاهدات السلام التي وقتعها مع ثلاث جهات عربية. ويبدو أن الاتفاق المذكور سوف يحقق لاسرائيل الاهداف الاستراتيجية التالية :

1. يضع التحالف شمال العراق وسوريا تحت المراقبة الاسرائيلية .
2. يشكل التحالف تهديداً للأمن الايراني بحيث ان الطائرات الاسرائيلية سوف تكون على مسافة 500 ميل من طهران .
3. يعتبر التحالف مكسباً ضخماً للدولة العبرية واختراقاً مهماً لصفوف العالم الاسلامي .
4. تركيا هي سوق ضخمة للصناعات الحربية الإسرائيلية وبالتالي سوق ممتازة للصادرات الإسرائيلية .
5. تركيا بلد غني بالمياه ، والاتفاق معها يساعد على بلورة رؤية مشتركة للضغط على الموقفين السوري والعراقي .
6. يشكل التحالف مقدمة لترتيبات أمنية إقليمية تنتهي إلى إقامة " حلف شرق أوسطي " ، على أن يتم كل ذلك في إطار التزام أميركي بالحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري ، واحتكارها للسلاح النووي كرادع استراتيجي حتى في ظل السلام .

باختصار، ان مرحلة ما بعد التسوية لن تكون اقل حدة وصراعا من المرحلة التي سبقتها. وان عملية تبادل السفراء ضمن صيغة الارض مقابل السلام ليست سوى الخطوة الاولى التي تسعى تل ابيب لتحقيقها. الخطوة الثانية تكمن في العمل على تطبيع العلاقات لتصبح طبيعية الى درجة تفسح في المجال لاسرائيل في التأثير على سياسات الدول العربية الاقتصادية والثقافية والعسكرية والبيئية والمائية. اما الخطوة الثالثة فهي مرحلة الشرعنة، ونعني بالشرعنة، ان يأتي يوم تصبح فيه اسرائيل جزءاً من التحالفات والخيارات الاقليمية.وهذا بالطبع ما حاول بيريس طرحه في كتابه "الشرق الاوسط الجديد" بحيث يتم الغاء جامعة الدول العربية لتحل محلها منظمة شرق اوسطية تكون اسرائيل العضو المهم اقتصاديا وعسكريا فيها. واي سلام هو، هذا الذي تحاول اسرائيل من خلاله مصالحة مقولتي التفوق العسكري واستمرار الاحتلال، او تفوقها المالي مع التنمية العربية، او الامن مع الاستيطان؟ .. ان سلاما كهذا لن يستمر،

ومصلحة اسرائيل هي في ان تبقى الاقوى عسكريا في منطقة الشرق الاوسط.

المراجع

1. Z. Schiff, A History of the Israeli Army, p.116.
2. المصدر السابق ، ص، 123
3. المصدر السابق ، ص 52.
4. A. Yariv , " Military Organizations and Policy - Making In Israel, " In R. Art, V. Davis, and S. Huntington , (eds), Recorganizing America's Defense Leadership In Warand Peace, (Washington : Perganon Brasseys , 1985), p.112.
5. Y.Peri ,Between Battles and Bullets , (Cambridge : Cambridge University Press, 1986), p.25.
6. A. Yariv, p.110.
7. N. Safran. Israel : The Embattled Ally, p.321.
8. Z. Schiff, A History of the Israeli Army, p.324.
9. Y. Ben-Horin and B. Posen , Isael's Strategic Doctrine, (Washington, D.C : Office of the Secretary of Defence, 1981), p.V.
10. M. Brecher, The Foreign Policy System of Israel , p.110.
11. Z. Schiff, A History of The Israeli Army, p.16.
12. Y. Ben-Horni and B. Posen, pp.16-18.
13. المصدر السابق ، ص، 42-13.
14. D. Eshel, " The Israeli Armed Froces, " Defense and Diplomacy , (Vol : 6, No:6 , 1988), p.21.
15. Z. Schiff, A History of the Israeli Army, p.78 and p.117.
16. A. Mintz and M. Ward, " The Political Economy of Military Spending In Israel," American Political Science Review, (Vol : 83, No:2, June 1989), p.521.
17. T. Friedman, from Beirut to Jerusalem, p.259.

18. النهار ، 15/3/ 1996.
19. S. Peres, Battling For Peace, (New York : Random House, 1995), p.308.
20. النهار ، 26/3/1996.
21. النهار ، 9/4/1996.
22. J. Alpher , " Israel : The Challenge of Peace ," Foreign Policy , (Winter 1995 -1996), p.137

الفصل السادس
التسوية الصعبة والسلام المستحيل

يمثل هذا الفصل خلاصة الاستنتاجات التي توصلنا اليها من خلال قراءتنا للاسس الدينية والسياسية والعسكرية التي تقوم عليها الدولة العبرية، ولننتهي الى القول بان السلام العربي–الاسرائيلي هو مستحيل التحقيق آخذين بعين الاعتبار مشاريع اسرائيل للهيمنة على منطقة الشرق الاوسط اقتصادياً وعسكرياً. اما بالنسبة للتسوية فيبدو انه في كل مرة تلوح في الافق اشارات بقرب التوصل الى اتفاق ما على احد المسارات التفاوضية تدخل اسرائيل في ازمة حكومية تفضي الى اجراء انتخابات تشريعية لتعود بعدها المفاوضات الى نقطة البداية، وما في ذلك كلّه من محاولات اسرائيلية للتهرب من الاذعان للمطالب العربية.

ان رأينا بحتمية استمرار الصراع العربي – الاسرائيلي نابع اولاً من رفض اسرائيل مقولة السلام العادل والشامل. فاسرائيل تريد سلاماً يسمح لها بتحقيق اعلى مستوى أمني من خلال فرض تدابير امنية وعسكرية على الدول المجاورة واستمرار حصارها العسكري لمناطق الحكم الذاتي الفلسطيني. كما تريد سلاماً يوفر لها التفوق العسكري والهيمنة الاقتصادية والتكنولوجية على كامل منطقة الشرق الاوسط. وان اعتماد تل ابيب سياسة "القضم الدبلوماسي" في سياق المفاوضات على المسار الفلسطيني قد ساعدتها على استبدال مبدأ "الارض مقابل السلام" الذي طرحه مؤتمر مدريد عام 1991 كإطار عام لاجراء مفاوضات عربية –اسرائيلية بمبدأ "الامن مقابل السلام". فالسلام الذي تريده اسرائيل يجب ان يضمن لها انهاء حالة الحرب مع الدول العربية، وتطبيع العلاقات، والتبادل الديبلوماسي، وتقاسم المياه، واقامة نظام اقتصادي يكون لاسرائيل فيه الدورالرئيسي، مع الاحتفاظ بالقسم الاكبر من الاراضي التي احتلتها عام 1967. وهذا ما اشار اليه بنيامين نتنياهو في كتابه "مكان بين الامم" حيث قال: "كان لانهيار الاتحاد السوفياتي وهزيمة العراق في حرب الخليج خلق ظروف دولية لتحقيق الهدف الاسرائيلي، اي تحقيق تسوية

سلمية مع العرب لا تسلب اسرائيل مكاسبها في حرب الايام الستة." ويضيف قائلاً: "الا ان هذه التسويات يجب الا تسقط خيار التسلح الاسرائيلي لان هناك عناصر قوية في العالم العربي والاسلامي تسعى للقضاء على اسرائيل حتى بعد حل القضية الفلسطينية." (1)

ان سياسة القضم الديبلوماسي الاسرائيلية على مسار التسوية، والعمل على الاحتفاظ بهيمنتها العسكرية والاقتصادية في ظل السلام المزعوم، ساهمتا في بلورة خيارٍ عربيٍ رافضٍ لمقولة السلم الاسرائيلي. وهذا نابع بالطبع من خلال قراءتنا للحقائق الجديدة التي فرضتها انتفاضة الاقصى على مسار الصراع. ففي ضوء تتبعنا للتطورات الميدانية التي لم تنته فصولا بعد، يمكننا القول ان النتائج المتوقعة للانتفاضة الجديدة ستكون في كل الاحوال افضل مما كانت عليه حال الفلسطينيين في صراعهم السياسي والديبلوماسي مع تل ابيب قبل 28 ايلول 2000، يوم دنست اقدام ارييل شارون، زعيم حزب الليكود، حرم المسجد الاقصى، مطلقاً بذلك شرارة الانتفاضة التي نقلت ثورة الحجارة الى مستوى حرب تحرير حقيقية لن يكون بمقدور اسرائيل تحييدها وايقافها واجهاض فعلها ونتائجها.

في سياق ما يجري على ارض فلسطين من انتفاضة متجددة، لا بد لنا من التوقف عند الدروس والعبر التالية:

1. لقد تأكد لغالبية الفلسطينيين ان طريق المفاوضات عقيمة ولن تلبي مطالب واحتياجات الشعب الفلسطيني في حقوقه المسلوبة واقامة دولة مستقلة عاصمتها القدس.
2. لقد اسقطت انتفاضة الاقصى مقولة "الاسرلة" التي راجت في السنوات الاخيرة عند الحديث عن مليون ونصف المليون فلسطيني ما زالوا يعيشون في ارضهم التي احتلتها اسرائيل في العام 1948. فهؤلاء الفلسطينيون يخوضون اليوم معركة انتمائهم وهويتهم وقوميتهم جنباً الى جنب مع اشقائهم في دول الطوق.

فأكثر من خمسين سنة من الاحتلال الاسرائيلي لم تجعل من هؤلاء الفلسطينيين اسرائيليين.

3. اخيراً، لقد اعادت انتفاضة الاقصى المسألة الفلسطينية الى مركز الصدارة في عملية السلام، واي تسوية خارج سياق حل المشكلة الاساسية ستكون هشة وواهية ولن تجلب الاستقرار للمنطقة. كما انها اعادت الصراع الى جذوره الاساسية، وهو تحديداً، صراع وجود بين قوميتين وليس نزاع حدود بين وحدات او كيانات سياسية. خلاصة القول، لا يمكننا ان نفصل بين انتفاضة الاقصى والنصر الذي حققه لبنان شعباً ودولة في ايار عام 2000 عندما قررت حكومة باراك الانسحاب من الجنوب والبقاع الغربي بعد احتلال دام اكثر من عقدين من الزمن.

وتجدر الاشارة الى ان التاريخ يعيد نفسه دائماً فيما يخص العلاقة بين المقاومة الوطنية اللبنانية وما جرى لاحقاً على ارض فلسطين. فالانتصارات التي حققتها المقاومة الوطنية اللبنانية في الثمانينات قد شجعت اطفال الحجارة على الانتفاض ضد الاحتلال الاسرائيلي في اواخر عام 1986. وفي السياق نفسه نشير الى ان الهزيمة الاسرائيلية في الجنوب اللبناني قد شجعت هي الاخرى الشعب الفلسطيني بكل شرائحه على الانتفاض حديثاً ضد الاحتلال الصهيوني مع استبدال الحجارة بمقولة الصراع المسلح.

هذا الفصل يطرح مقولة استمرار الصراع بين العروبة والصهيونية الذي يجب ان يفضي، مهما طال الزمن، الى غالب ومغلوب، ومنتصر ومهزوم، وفي احسن الاحوال فان السلام في الشرق الاوسط يعني سلماً اسرائيلياً مسلحاً لا اكثر ولا اقل. وهذا ما يتبين لنا لاحقاً من خلال تحليلنا للتكتيك والاستراتيجية الاسرائيليتين على مستويي التسوية والسلام.

التسوية الصعبة:

التسوية هي حالة مؤقتة تقوم على التكيّف مع اختلال ميزان القوى في لحظة محددة، بحيث يقوم الطرف الضعيف على تقديم تنازلات للطرف

الاخر، بقصد تجنب عواقب قد تكون اكثر سوءاً من الحالة القائمة. وهي تمثل حلاً وسطاً حسب ميزان القوى، وتقوم على تقديم تنازلات للتوفيق بين مواقف الاطراف المتنازعة. (2) هذا الوصف ينطبق الى حد كبير على حالة حيثيات انطلاقة عملية التسوية في الشرق الاوسط، بحيث انها جاءت نتيجة تراجع الموقف العربي امام قوة الموقف العسكري والسياسي الاسرائيلي. فليس من باب الصدفة اطلاقاً ان يأتي انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في 20 تشرين الثاني عام 1991 غداة الغزو العراقي للكويت، وغداة الهجوم الذي شنته قوات التحالف الدولي على العراق، وما سببه كل ذلك من احداث تصدع في الموقف العربي تجاه الكيان الصهيوني. فلقد ادت حرب الخليج الثانية الى استبعاد دور العراق في المعادلة العسكرية مع اسرائيل، والى ادخال بعض دول الخليج في عملية التسوية، والى خلل استراتيجي في ميزان القوى بين العرب واسرائيل ، وخاصة فيما يخص الامتيازات التي حصلت عليها الدولة العبرية بعد الحرب لضمان امنها تعزيز هيمنة واشنطن على منطقة الشرق الاوسط. اما النتيجة الحتمية لتلك الحرب فتمثلت في دخول العرب في مفاوضات غير متكافئة مع الطرف الاسرائيلي.

تجدر الاشارة الى ان مسلسل التراجع العربي امام سياسة القوة الاسرائيلية قد افاد التصور الاسرائيلي لطرق انجاز التسوية وصوغ مضمونها وتحديد نتائجها المحتملة. فما رفضه العرب في الامس اصبح مقبولاً اليوم تحت وطأة هزيمتهم التاريخية عام 1948. فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر التراجعات التالية:

1. لقد رفض العرب قرار الامم المتحدة لتقسيم فلسطين عام 1947 ثم قبلوا به في اطار قرار مجلس الامن 242 .
2. رفض العرب مبدأ التفاوض المباشر والاعتراف باسرائيل وعقد الصلح المنفرد معها ثم بات الامر مقبولاً بعد اتفاقات كامب دايفيد (1978) ومؤتمر فـاس المغربي (1982).

3. كان الحكم الذاتي الفلسطيني الذي اشير اليه في اتفاقات كامب ديفيد مرفوضاً فصار مطلباً يفاوض عليه الطرف الفلسطيني بعدما اقتصرت الاراضي الوطنية الفلسطينية على اجزاء من الضفة والقطاع.
4. كانت المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل سلاحاً غير مسموح باختراقه الا بعد انجاز التسوية الشاملة. فاذا بالمقاطعة تنهار بشكل دراماتيكي تحت وطأة الاتفاقات الاقتصادية الثنائية بين اسرائيل وبعض الاطراف العربية التي لم تكن في حالة صراع مباشر مع الكيان الصهيوني. (3)

في ضوء ما تقدم نشير ايضاً الى ان مسار التسوية قد اجبر الجانب العربي على التخلي عن اهم اسلحته التفاوضية حتى قبل بدء المفاوضات. ففي اطار التسوية تنازلت الاطراف العربية عن فكرة المؤتمر الدولي، ودخلت في مفاوضات ثنائية متخليةً بذلك عن اعتبارها المبدئي للقضية الفلسطينية كقضية مركزية. وبهذا تخلى العرب عن مقولة الخطر الصهيوني، وقبلوا مبدأ اندماج اسرائيل في المنطقة كما دلت على ذلك المؤتمرات الاقتصادية والتعاون الاقليمي من الدار البيضاء (1994) ، الى عمان (1995) ، الى القاهرة (1996)، الى الدوحة (1997).

وللانصاف نشير الى ان تراجع مركزية القضية الفلسطينية منذ عام 1993 جاء كنتيجة مباشرة للتشدد الفلسطيني فيما يخص "القرار الفلسطيني المستقل." وهكذا، بينما كانت تجري مفاوضات متعددة الاطراف في واشنطن، فوجئ العالم بالاعلان عن اتفاق اوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل. ولا حاجة للتذكير بان الاتصالات السرية التي ادت الى اتفاق اوسلو هي اسلوب تفاوضي تفضله اسرائيل لاستفراد كل طرف عربي على حدة واملاء شروطها عليه.

هذا ما حصل فعلاً على المسار الفلسطيني بحيث ان اسرائيل نجحت في سياسة القضم الديبلوماسي، لأن كل اتفاق بين الطرفين كان يحتاج الى اتفاق ثانٍ لتفسيره، الامر الذي ساعد الطرف الاسرائيلي على

التنصل مما اتفق عليه سابقاً. ففي اتفاق اوسلو الاول (1993) حصلت تل ابيب على اعتراف فلسطيني بوجودها قبل ان يتحقق الانسحاب الاسرائيلي من الضفة والقطاع، وما في ذلك من عدم تكافؤ بحيث ان الاعتراف الفلسطيني باسرائيل كان يجب ان يكون النتيجة النهائية للمفاوضات وليس منطلقها.. من جهة اخرى، لم تلزم اسرائيل نفسها بما ستؤول اليه الحال الفلسطينية عند نهاية المرحلتين التفاوضيتين. لقد حصل الجانب الاسرائيلي على مبتغاه الاساسي من المفاوضات، بينما بقي الوضع الفلسطيني معلقاً بانتظار نتائج مفاوضات محفوفة بالمخاطر ومفتوحة على كل الاحتمالات. كل هذا ظهر جلياً من خلال الاتفاقات الامنية والسياسية والاقتصادية بحيث لم تحصل السلطة الفلسطينية على شيء يذكر سوى مجموعة من الاجراءات الامنية المحددة بينما احتفظت اسرائيل بكل الصلاحيات المتعلقة بتطبيق القانون بما فيها التحقيق والاجراءات القضائية والايداع في السجون في مناطق الضفة الغربية.

اما الاتفاقات اللاحقة (القاهرة، شرم الشيخ، طابا) فقد جاءت نتيجة مفاوضات صعبة على تفاصيل التفاصيل دون ان تحصل السلطة الفلسطينية على اي تنازل اسرائيلي جوهري فيما يخص، مثلاً، الاجراءات المتعلقة باقامة الدولة الفلسطينية. حتى ان انتخابات مجلس الحكم الذاتي الفلسطيني قد جرت عام 1996 حسب الشروط الاسرائيلية بحيث منع على اي معارض لعملية السلام من الترشيح في تلك الانتخابات. (4) اما بالنسبة لانسحاب الجيش الاسرائيلي من مناطق السلطة الفلسطينية، فقد اقرت الاتفاقات باعادة انتشار القوات الاسرائيلية داخل تلك المناطق. ففي 9 شباط 1994 تم في القاهرة التوقيع على اتفاقين جزئيين بين عرفات وبيريس. اشتمل الاتفاق الجزئي الاول على تحديد منطقتي الحكم الذاتي في اريحا وقطاع غزة وفقاً للخرائط الاسرائيلية. وفي المحصلة، استحصل الجانب الاسرائيلي على تنازلين هامين من الجانب الفلسطيني هما:

1. تسيير دوريات فلسطينية–اسرائيلية مشتركة، وبقيادة فلسطينية، على طريق رئيسي هام يقطع مدينة اريحا بأكملها.

2. وضع الشؤون الدينية، في كنيس يهودي في قلب مدينة اريحا، تحت اشراف السلطات الاسرائيلية.

ويشكل هذان الامران تراجعاً عن مبدأ "الانسحاب الاسرائيلي" الذي كان "اتفق" بشأنه في اوسلو. هكذا استطاعت تل ابيب ان تحتفظ لنفسها بموطئ قدم داخل منطقة كان من المفترض ان تصبح، وفقاً للتعبير الفلسطيني، "منطقة محررة." (5)

اما الاتفاق الجزئي الثاني، ويتعلق بالترتيبات الامنية على المعابر في غزة واريحا، فقد ضمن لاسرائيل توليها مسؤولية الامن كاملةً على ممرات العبور والمعابر الحدودية التي تصل الضفة الغربية بالاردن وقطاع غزة بمصر. هكذا استطاعت اسرائيل عملياً فرض حصار عسكري كامل على مناطق السلطة الفلسطينية. (6) وهذا ما يظهر جلياً من خلال قراءتنا للاتفاق الذي تم التوقيع عليه بين الجانبين في القاهرة بتاريخ 4 ايار 1994، بحيث انتزعت اسرائيل من الجانب الفلسطيني التنازلات التالية:

1. ابقاء المستوطنات خارج نطاق المسؤوليات الممنوحة للجانب الفلسطيني، اي ابقاء تلك المستوطنات مناطق عسكرية اسرائيلية قادرة على شن هجمات على المناطق الفلسطينية.
2. حمل الجانب الاسرائيلي السلطة الفلسطينية على القبول بعدم التعرّض للمتعاونين الفلسطينيين مع سلطة الاحتلال الاسرائيلي.

هذان التنازلان يعنيان ان المناطق التي كانت ستخضع لسيطرة السلطة الفلسطينية اصبحت تتألف من قسمين: احدهما فلسطيني والاخر استيطاني اسرائيلي، اي ان الوجود الاستيطاني الاسرائيلي اصبح يحظى بمشروعية قانونية. (7)

اخيراً، لم تأتِ الاتفاقية المرحلية حول الضفة الغربية وقطاع غزة، والتي تم التوقيع عليها في واشنطن بتاريخ 28 ايلول 1995، باي جديد

بالنسبة للانسحاب الاسرائيلي الذي توقعته السلطة الفلسطينية، بل اضافت العديد من التنازلات. فقبل الجانب الفلسطيني بتقسيم الضفة الغربية (بدون القدس) إلى ثلاثة مناطق هي (أ) و(ب) و(ج):

- منطقة (أ) خاضعة للسيطرة السياسية والامنية الفلسطينية.
- منطقة (ب) خاضعة للسيطرة المشتركة مع الاسرائيليين.
- ومنطقة (ج) خاضعة كلياً للسيطرة العسكرية والامنية الاسرائيلية.

اما ما حققته اسرائيل من خلال هذه الاتفاقية، فيمكن ايجازه على النحو التالي:

1. لم تحدد الاتفاقية مساحة المواقع التي ستقوم قواتها العسكرية باخلائها وتسليمها للجانب الفلسطيني.
2. ضمنت الاتفاقية للجانب الاسرائيلي تسيير دوريات مشتركة في كل المدن الفلسطينية التي ستتم فيها اعادة انتشار القوات الاسرائيلية.
3. استطاع الاسرائيليون وضع الاساس لتشكيل "كانتونات" فلسطينية تعزل المناطق التي سيتم تسليمها للجانب الفلسطيني، ليس عن اسرائيل في حدود 1948، وانما عن بعضها وعن المناطق التي ستحتفظ بها اسرائيل مرحلياً في الضفة بحجة الحفاظ على امن المستوطنات والمنشآت العسكرية، ليتحول ذلك الاحتفاظ المرحلي الى شكل نهائي بعد المفاوضات النهائية.
4. اخيراً، ومن الناحية الديمغرافية في الضفة، استطاعت الاتفاقية "شرعنة" وجود مجموعتين سكانيتين مختلفتين اثنياً: الاولى فلسطينية في منطقة (أ)، وتبقى منقوصة من الناحية الامنية في مناطق (ب) ومعدومة في مناطق (ج)، والثانية اسرائيلية تتشكل من المستوطنين وتسري عليها سلطة اسرائيلية محضة حتى في القضايا الجنائية الى الحد الذي تنص عليه الاتفاقية انه "تحت اي ظرف من الظروف لن يتم اعتقال اسرائيليين او وضعهم في الحجز او السجن من جانب السلطات الفلسطينية." (8)

في الجانب الاقتصادي، لحظت Sara Roy ان الحكم الذاتي ابقى قطاع غزة تحت الانتداب الاقتصادي الاسرائيلي مما يجعل عملية الانماء هناك امراً مستحيلاً. (9) مثال على ذلك ان 20 في المئة من سكان القطاع يعيشون تحت خط الفقر، كما ان 33 في المئة منهم قد ساءت حالهم المعيشية واصبحوا فقراء بعد التوقيع على اتفاق اوسلو. وفي المحصلة، تقدر خسائر الاقتصاد الفلسطيني في غزة بحوالي 85 مليون دولار في اليوم الواحد بسبب الحصار الاقتصادي الذي تفرضه اسرائيل. اضف الى ذلك، ان اتفاق اوسلو ابقى مصادر المياه في غزة تحت السيطرة العسكرية الاسرائيلية، كما ان قرار توسيع آفاق السوق المحلية الفلسطينية يخضع لمبدأ المفاوضات مع اسرائيل اولاً. اخيراً، ان اتفاق اوسلو يفسر ما تمنعه اسرائيل عن الفلسطينيين وليس ما تسمح لهم به. حتى البضائع الاجنبية التي تستوردها السلطة الفلسطينية تخضع للمواصفات الاسرائيلية. باختصار، ان صيغة "الزواج الاقتصادي والطلاق السياسي" بين اسرائيل والفلسطينيين لم تلغ الحالة القائمة بين المستعمِر والمستعمَر.

ان احتفاظ اسرائيل بالمستوطنات داخل مناطق الحكم الذاتي له ايضاً انعكاساته السلبية على الاقتصاد الفلسطيني. وقد حدد راسم خمايسي هذه الانعكاسات على النحو التالي:

1. تقليص الموارد التي يمكن ان تشكل رافعة للتنمية الفلسطينية (الارض، المياه، والمواصلات) والذي يحول دون تطوير تواصل عمراني وبيئي فلسطيني يأخذ بعين الاعتبار المصلحة والاهداف الفلسطينية.
2. تهديد للامنين الشخصي والعام الفلسطينيين نتيجة التناقض بين المصالح الفلسطينية ومصالح المستوطنات، الامر الذي يؤدي بدوره الى اعتداء مستوطنين على مدنيين فلسطينيين.
3. اهدار الموارد المتوفرة في الاراضي الفلسطينية ونقلها الى اسرائيل من خلال المستوطنات وتحجيم فرص التطوير الفلسطيني.

4. سيطرة اسرائيل والمستوطنين على الطرق والمعابر التي تربط بين المناطق الفلسطينية وقطاع غزة والدول العربية. وهذه السيطرة تؤدي بدورها الى ضبط ومراقبة انتقال البضائع والتسويق وحتى اقامة المؤسسات وامدادها بالحاجات التي تساهم في انطلاقها وتنميتها. ممّا يعني ان السيطرة هذه تؤدي الى استمرار اعتماد الاقتصاد والتنمية الفلسطينيين على اسرائيل وتبعيتهما لها بحجة المستوطنات. (10)

خلاصة القول ان الجدوى الاقتصادية لدولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ليست ممكنة دون سيادة وطنية ووحدة جغرافية. اولاً، ليس لدينا تصنيف عملي وواضح لماهية الاقتصاد الفلسطيني. مع العلم ان الاقتصاد الفلسطيني يفترض ان يغطي الضفة والقطاع، وان حدود هاتين المنطقتين ليست واضحة، والروابط بينهما ليست ثابتة. فهل الضفة والقطاع يشكلان اقتصاداً واحداً موحداً على الرغم من عدم ارتباط المنطقتين جغرافياً؟، وهل نمت هاتان المنطقتان بالنسق نفسه؟، وهل تشتركان في الخصائص والامكانات والتطلعات؟، وهل من الممكن التحدث عن اقتصاد فلسطيني بينما هناك اكثر من 140 مستوطنة اسرائيلية تنتشر في جميع انحاء الاراضي الفلسطينية وتحول دون اي تكامل جغرافي واقتصادي بين مختلف الاجزاء؟، وهل يمكن ان تنشط حركة تجارية دون رسم الحدود الفلسطينية مع اسرائيل والاردن ومصر، فضلاً عن بقية دول العالم؟

ثانياً، في السياسة النقدية لم يسمح للسلطة الوطنية الفلسطينية باصدار عملتها. ثالثاً، ربط بروتوكول العلاقات الاقتصادية، الذي يعتبر الوثيقة التي تنظم العلاقات الاقتصادية بين اسرائيل والفلسطينيين في الفترة الانتقالية، الضفة والقطاع باسرائيل في اتحاد جمركي في غياب أي سيطرة فلسطينية على الارضِ والمياهِ، العنصرين الاساسيين في تحديد طبيعة اية سياسة تنموية. رابعاً، حرية اسرائيل في اغلاق الحدود والمعابر وفرض حصار اقتصادي على مناطق الحكم الذاتي. هذه الاجراءات، وان

بررتها اسرائيل لجهة حماية مواطنيها من "الاعمال الارهابية"، فهي وسيلة ضغط على القيادة الفلسطينية لتقديم المزيد من التنازلات. وفي رأي ليلى فرسخ ان لجوء اسرائيل الى الاغلاق من جانب واحد اثبت حقيقتين مركزيتين : الاولى ان الازدهار الاقتصادي في الضفة والقطاع يعتمد على امكان الوصول الى اسرائيل والعالم.

والحقيقة الثانية هي ان اسرائيل تستعمل سياسة الاغلاق لتفرض معايير جديدة لتحديد الحقوق في الارض خارج اطار قراري مجلس الامن 242 و338. وان اي انسحاب اسرائيلي محتمل اصبح مقروناً بتعريف اسرائيل للامن . وقد جاء اتفاق واي ريفر (1998) ليقر بأن انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ليس مقروناً بمبدأ الارض مقابل السلام، وانما بمبدأ الامن كما تعرفه اسرائيل فقط. (11)

نبقى في المجال الامني لنشير الى ان اتفاق واي ريفر قام على اساس ما يعطي الاسرائيليين لا على ما يأخذه الفلسطينيون. فتحت شعار محاربة الارهاب، وافق الطرف الفلسطيني على التنسيق مع اجهزة الموساد للقضاء على اية معارضة او مقاومة فلسطينية لعملية التسوية. ففي الاحكام المتصلة بالترتيبات من الاتفاق المذكور، وافق الطرف الفلسطيني على ما يلي:

1. اتخاذ جميع الاجراءات الضرورية لمنع اية اعمال ارهابية او جرائم او اعمال عدوانية ضد الفريق الاسرائيلي، او ضد الافراد الخاضعين لسلطة الفريق الاسرائيلي، او ضد ممتلكاتهم.
2. اتباع سياسة لا هوادة فيها تجاه الارهاب والعنف ضد الفريقين.
3. اعتقال الاشخاص المشتبه بارتكابهم اعمال عنف وارهاب لاجراء المزيد من التحقيق معهم ومحاكمة جميع المتورطين في هذه الاعمال ومعاقبتهم.
4. منع جميع اشكال التحريض على العنف او الارهاب . (12)

نكتفي بهذا القدر من التعهدات الامنية الفلسطينية لنشير الى ان السلطة الفلسطينية قد اتمت الغاء فقرات من الميثاق الوطني الفلسطيني التي تتعارض مع حق اسرائيل في الوجود. وكما انها قررت تأجيل اعلان الدولة الفلسطينية، الذي كان حدد سابقاً في 4 ايار 2000، بسبب المعارضة الاسرائيلية والضغوط الاميركية ذات الصلة. اخيراً، لقد اثبتت الاحداث اللاحقة تخلي الولايات المتحدة عن دورها كراعٍ وكوسيط في عملية التسوية. وظهر ذلك جلياً في المقترحات التي تقدّم بها الرئيس كلنتون "لانهاء النزاع"، بحيث ان تلك المقترحات تحاشت اي تعارض مع اللاءات الاسرائيلية الشهيرة: لا لعودة اللاجئين، لا لسيادة فلسطينية على القدس الشرقية ولا لتفكيك المستوطنات. في الوقت عينه، تضمنت تلك المقترحات حلاً وسطاً لم يحدد بشكل واضح شأن الاماكن المقدسة في القدس، ودعا الى تشكيل قوة دولية في الضفة الغربية لتوفير امن حدود اسرائيل على طول نهر الاردن. (13)

يستخلص مما تقدم ان عملية التسوية استمرت بسبب التنازلات التي قدمها الجانب الفلسطيني . ولقد اخطأت السلطة الفلسطينية في اعتبارها اتفاق اوسلو قد ارسى جميع مرتكزات تحقيق السلام، وهذا ما دفعها الى عدم ايلاء عملية المفاوضات اللاحقة اهتماماً كافياً، ومّما ادى في نهاية المطاف الى انجرار الجانب الفلسطيني الى تقديم كم هائل من التنازلات دون المحافظة على الحد الادنى من المطالب الوطنية الفلسطينية. ويقول علي الجرباوي في هذا الصدد: "عندما يعاني صراع من اختلال واضح في موازين القوى بين الطرفين، لا يمكن للطرف الاضعف ان يحقق من التفاوض اللامتكافئ الحد الادنى من مطالبه. ومع ان عملية المفاوضات قد تخفي في ثناياها اثر اختلال هذه الموازين بين الطرفين، الا ان حقيقة الوضع تتمثل في ان الطرف الاضعف يصبح في هذه العملية رهينة لمصالح ومطالب الطرف الاقوى". (14)

وبالعودة الى تعريفنا السابق للتسوية، نشير الى ان العملية التفاوضية في الشرق الاوسط، وما رافقها من تنازلات من قبل الطرف

الفلسطيني، لم تجنب الفلسطينيين عواقب الحصار الاقتصادي والعسكري الاسرائيلي على مناطق الحكم الذاتي. اضف الى ذلك ان اسرائيل نجحت في جعل المفاوضات غاية بحد ذاتها، الامر الذي وفر لتل ابيب غطاءً لتعديل صيغة "الارض مقابل السلام"، لتحل محلها تدريجياً صيغة "الامن (الاسرائيلي) مقابل السلام"، وصولاً الى صيغة "الامن مقابل الامن" التي بدأ يروج لها ارييل شارون منذ فوزه برئاسة الوزراء في 6 شباط 2001. وتقوم صيغة شارون على رفض اسرائيل العودة الى طاولة المفاوضات قبل وقف "اعمال العنف" التي يقوم بها الفلسطينيون، وما في كل ذلك من محاولة للتنصل من عملية التسوية برمتها. فشارون معروف بمعارضته لاتفاق اوسلو، ورفضه الانسحاب في المطلق من مرتفعات الجولان السورية المحتلة، ولا يزال يرى ان الاردن هو "الوطن البديل" للفلسطينيين. وهكذا تكون عملية التسوية قد حملت في طياتها اخطر عملية منهجية لتصفية القضية الفلسطينية تحت شعار "السلام".

• • •

السلام المستحيل :

قديماً، كان السلام يُعرف بشكل سلبي ليعني غياباً تاماً لحالة الحرب. ومن ثم تطور هذا المفهوم ليعبر عن حالة طبيعية تستند الى شعور وعمل ايجابي، فلا يقتصر على توقيع المعاهدات بل يتعداه لخلق علاقات صداقة وتعاون مشترك. وهي حالة دائمة لانها تستند الى المنطق والعدل في ظل تبادل المصالح." (15)

لقد تطور التصور العربي للسلام في الشرق الاوسط من الرفض المطلق لوجود الكيان الصهيوني على قاعدة التحرير الكامل للاراضي العربية المحتلة، الى القبول تدريجياً بمبدأ المفاوضات المباشرة مع اسرائيل بهدف ازالة آثار عدوان عام 1967 مع منح الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير. من هنا جاء التبني العربي لصيغة "الارض مقابل السلام" التي اطلقها مؤتمر مدريد عام 1991. وتفصيلاً، فان المفهوم العربي للسلام يقوم على الاسس التالي:

1. تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي المحتلة منذ حزيران 1967 وفقاً للتفسير العربي لقراري مجلس الامن 242 و338.
2. حق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.
3. اقامة علاقات طبيعية وتعاون اقتصادي مع الدولة العبرية.

اما الشروط الاسرائيلية للسلام فيمكن ايجازها على النحو التالي:

1. ترفض اسرائيل الانسحاب الى خطوط الرابع من حزيران عام 1967.
2. الابقاء على المستوطنات في الضفة والقطاع مع رفض تام لاقامة الدولة الفلسطينية.
3. رفض عودة اللاجئين الفلسطينيين الى مناطق الحكم الذاتي.
4. تطالب اسرائيل بترتيبات امنية مع الدول العربية المجاورة تضمن لها حدوداً آمنة.
5. تسعى تل ابيب لتطبيع علاقاتها مع الدول العربية، وتحقيق التعاون الاقتصادي في المنطقة.

هكذا يبدو جلياً ان السلام الذي تريده اسرائيل هو ذلك السلام القائم على ما يشبه حالة السلم المسلح، والذي يسمح لها بتحقيق اعلى مستوى امني من خلال فرض تدابير امنية وعسكرية على الدول المجاورة، كما تريد سلاماً يحقق لها الهيمنة الاقتصادية والتكنولوجية على كامل منطقة الشرق الاوسط.

فتطور التصور العربي للسلام في الشرق الاوسط لم يوازِه اي تطور في الموقف الاسرائيلي. بل ان التمسك الاسرائيلي بثوابته المطلقة، والتي لم يتنازل عنها في سياق مفاوضات التسوية، قدم للجانب العربي مقولة جديدة للتهرب من الاعتراف بمقولة السلام العادل والشامل. فبين 1995 و2001 عرفت اسرائيل خمسة رؤساء للحكومة لم يحظ اي منهم

بتأييد غالبية الشارع الاسرائيلي لتوقيع السلام مع العرب. وحده اريل شارون حظي بتأييد 62% من مجموع الناخبين الاسرائيليين في انتخابات 6 شباط 2001 لانه "رجل يكره العرب." (16) وعليه، ففي معرض تحليله لتهرب الشارع الاسرائيلي من السلام، كشف الرئيس السوري الدكتور بشار الاسد ان "هذا الشارع قتل رابين عندما شك، ومجرد شك، بأن هذا الرجل قد يقدم شيئاً للسلام.... هذا الشارع اسقط بيريس عندما شك بأنه اقل تطرفاً من نتنياهو..... هذا الشارع اسقط باراك عندما شك بأنه اقل تطرفاً من شارون".(17)

ان مراهنتنا على استحالة اقامة سلام مع الكيان الصهيوني لا تنبع من مظاهر الرفض الاسرائيلي للتعايش مع الحقوق العربية، بل من خلال فهمنا لطبيعة العدو واهدافه. فعلى عكس كل النزاعات التي شهدها القرن العشرين، تميز الصراع العربي–الاسرائيلي بالخصائص التالية:

1. انه صراع مصيري: حيث يسعى الطرف الاسرائيلي المعتدي الى الغاء هوية الشعب العربي في فلسطين، وتدمير امنه القومي، ونفيه خارج كيانه الذاتي موضع المصادمة.
2. وصراع حضاري: شكل في احد جوانبه صراعاً بين الثقافة والحضارة العربية من جهة والصهيونية كممثلة للقومية اليهودية ذات الانتماء الغربي من جهة اخرى.
3. وصراع تاريخي: فهو من اطول الصراعات الدولية في العصر الحديث، وتمتد جذوره الى بداية المخطط الاستعماري في القرن التاسع عشر وما زال مستمراً حتى الوقت الحاضر. وقد تمخضت عنه عدة حروب، وتخللته عدة ازمات ومحطات للتسوية، لكن جذوره بقيت قائمة.
4. وصراع معقد وشامل: نتيجة كثرة الاطراف المتداخلة فيه، سواء على الصعيدين الاقليمي والدولي. كما انه صراع امتدت ساحته لتشمل جوانب عسكرية واقتصادية وسياسية. (18)

وتجدر الاشارة الى انه جرت محاولات حثيثة وجادة لايجاد تسوية للصراع على قاعدة اعادة رسم الحدود بين الجانبين الاسرائيلي والعربي، لكن باءت كلها بالفشل. فالصراع العربي –الاسرائيلي هو صراع على الوجود ويطال كل جوانب الحياة بما فيها الثقافة والدين والتاريخ والقيم.

ان الجمود والترهل الذي اصاب عملية التسوية كان نتيجة لسياسة التسويف الاسرائيلية التي رأت في المتغيرات الدولية بعد حرب الخليج الثانية وانهيار الاتحاد السوفياتي مدخلاً الى فرض سلمها المسلح على العرب بالوسائل الاقتصادية. ومن هذا المنظار يمكننا قراءة وفهم طروحات شيمون بيريس في كتابه "الشرق الاوسط الجديد". (19) تحت عنوان "فجر السلام" يعلن بيريس ان اعلان المبادئ في اوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل في 20 آب 1993 يعني "بداية مرحلة تاريخية جديدة في الشرق الاوسط". (20) ففي رأيه ان الاتفاق المذكور اعطى تل ابيب اكثر من مجرد كلمات، "فقد حصلنا على تنازلات لم نكن نستطيع بدونها توقيع اي اتفاق... تنازلات امنية وقضية ابقاء القدس خارج اتفاقية الحكم الذاتي والابقاء على المستوطنات حيث هي." (21) وعليه، فبعد المصافحة التاريخية في حديقة البيت الابيض بين عرفات ورابين في 13 ايلول 1993 بدأ بيريس بالتفكير ببناء " شرق اوسط جديد يحمل السلام والرخاء إلى شعوب المنطقة كافةً ". (22) وفي رأيه ان المفتاح للحفاظ على نظام اقليمي آمن وعادل يكمن في النواحي السياسية والاقتصادية اكثر منه في امتلاك القوة العسكرية. ويقول في هذا المجال: " إنَّ تأمين مستوى معيشي عادل في عالمنا اليوم يتطلب علاقات تجارية تنافسية وحدود مفتوحة واعتماد على العلوم والتكنولوجيا". (23)

يذهب بيريس الى ابعد من ذلك معلناً ان الصراع في الشرق الاوسط قد انتقل من الجبهة الى الجامعة، اي بعيداً عن الاستراتيجة العسكرية الى الذخيرة السياسية والاقتصادية الخصبة. ويحدد بيريس التحديات التي تواجه الشرق الاوسط الجديد على النحو التالي:

1. لجوء العديدين الى الاصولية الاسلامية التي تسعى الى مناهضة الفتح والثقافة الغربيين وتعمل على التراجع عن التحديث والعصرنة وتدعو الى استخدام القوة لاقامة جمهورية اسلامية سلطوية قمعية على النحو الايراني.
2. امكانية امتلاك "المتعصبين الدينيين" للسلاح النووي. وهنا يطرح بيريس السؤال التالي: هل يمكن للمتطرفين الذي يعتقدون بأنهم يحملون مفاتيح السماء ان يتصرفوا بتعقل اذا ما امتلكوا السلاح النووي؟.
3. أما التحدي الثالث للسلام في الشرق الاوسط فيكمن في غياب الديمقراطية عن البلدان العربية التي تفتقر الى بنى عصرية وتوزيع منطقي للثروة الوطنية ومستوى لائق للحياة . (24)

في رأي بيريس ان الحل الاسلم لكل هذه التحديات يكمن في كسر دائرة الشر وسحق حواجز الكره والحقد ورفع شعار "لا حروب بعد اليوم ولا سفك دماء." (25) وحتى نبلغ السلام، يضيف بيريس قائلا: "لا بد ان نعالج المشكلات الاساسية للشرق الاوسط بصورة واقعية. ويتعين علينا اولاً وقبل كل شيء ان نعترف بعقم الحرب. فالعرب لا يستطيعون هزم اسرائيل في ارض المعركة واسرائيل لا تستطيع املاء شروط السلام على العرب.... السلام وحده بين اسرائيل وجيرانها العرب قادر على خلق البيئة المؤاتية لاعادة تنظيم مؤسسات الشرق الاوسط بصورة اساسية. " (26) اخيراً، يوضح بيريس المعنى الحقيقي للنظام الاقليمي الجديد في الشرق الاوسط على النحو التالي: "هدفنا هو خلق اسرة اقليمية من الامم، ذات سوق مشتركة، وهيئات مركزية مختارة على غرار الجماعة الاوروبية. " (27)

اما ارساء هذا النظام الاقليمي، حسب رأي بيريس، فمرهون بتحقيق العوامل التالية:

1. يدعو بيريس دول المنطقة الى الانخراط في التزامات ثنائية تجاه بعضها البعض والالتزام ايضاً بأمن المنطقة.
2. اقامة مجموعة اقتصادية شبيهة بالاتحاد الاوروبي.
3. اعتماد اسلوب جديد في التفكير وصولاً لوضع الاساس المناسب للامن والاستقرار.
4. الحاجة الى استثمارات دولية كبيرة.
5. وضع الاولويات لاستخدام المياه وبناء الطرق وتحديد المسارات الجوية وربط شبكات النقل وتحديث وسائل الاتصال وتطوير السياحة عبر فتح الحدود.
6. والسعي لاقامة كونفدرالية اردنية–فلسطينية لمنع اقامة دولة فلسطينية مستقلة في يهودا والسامرة وغزة. (28)

باختصار، يضع بيريس في كتابه المذكور تصوره لمستقبل المنطقة في عصر السلام بين العرب واسرائيل. وعليه، فهو يحاول تجاوز عوامل العداء التاريخية والدينية والتركيز على الصورة الاقتصادية لايهام وتضليل اولويات التصالح في حال اكتماله، واعتبار الشأن الاقتصادي "الالف والياء" في منطقة شديدة التعقيد، وأنَّ الكتاب يمثل تسويقاً جديداً لنهج اسرائيلي ثابت في فتح المنطقة امام السيطرة الاسرائيلية اقتصادياً وتكنولوجياً. ففتح الاسواق العربية امام السلع العبرية سوف يساعد اسرائيل كثيراً على المشاركة في صنع القرارات داخل العواصم العربية. بمعنى آخر، ان تركيز بيريس على القضايا الاقتصادية ما هو الا محاولة اسرائيلية للحصول على ما عجزت تل ابيب عنه في ساحة المعركة، على قاعدة ان ما هو لاسرائيل هو لاسرائيل وحدها، اما ما هو للعرب فهو للعرب والاسرائيليين على السواء. وانه لمن الممكن ملاحظة كل ذلك على النحو التالي:

1. تركيز بيريس على اهمية تسليح اسرائيل لطمأنتها الى السلام المهدد من قبل الاصولية الاسلامية، وما في هذا من طمس متعمد لحقيقة الصراع بين الاغتصاب الاستيطاني العنصري

والحقوق العربية، ليحل محله حلف صهيوني – عربي ضد رافضي نظام بيريس الاقليمي بقيادة اسرائيل.

2. يقيم بيريس مقارنة بين الصراع العربي–الاسرائيلي والعداوة الالمانية–الفرنسية التي تحولت الى تحالف ضمن الاتحاد الاوروبي. وهو في ذلك يرى امكانية ان تتحول العداوة العربية – الاسرائيلية الى شراكة في السوق الشرق اوسطية، متجاهلاً طبعاً الفارق بين دول تنتمي الى حضارة اوروبية واحدة، حروبها عارضة وسلامها هو الاصل، ومشروع استيطاني احلالي يهدف الى الغاء الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني وطمس حقه في تقرير المصير. وان اقصى ما يصل اليه بيريس في هذا السياق هو اقتراحه اقامة اتحاد كونفدرالي بين السلطة الفلسطينية والاردن يزيل المخاوف الاسرائيلية من دولة فلسطينية، على ان تندمج هذه الكونفدرالية في اتحاد اقتصادي مع اسرائيل على غرار البنولوكس.

3. بالنسبة لمسألة اللاجئين الفلسطينيين، يسقط بيريس حق عودتهم الى ديارهم المغتصبة معتبراً أن ما جرى عام 1948 كان بمثابة تبادلٍ للسكان بين اليهود الآتين من البلدان العربية بناء لدعوة الحركة الصهيونية، والفلسطينيين الذين هجرتهم الحركة الصهيونية.

4. ان تطلعات بيريس الاقتصادية مبنية على دمج الامن بالمصالح، اي دمج المنطقة اقتصادياً حتى تزول امكانية الحروب من جهة، وحتى تتم الهيمنة الاسرائيلية عليها من جهة اخرى. فنظرية بيريس حول المياه تركز على شحها، وكيفية التغلب على ما يهدد المنطقة من شح المياه، وتجنب نشوب الحروب في سبيلها. لكن ما اغفله بيريس في قراءته لموضوع المياه هو ان سيطرة تل ابيب على معظم مصادر المياه في الاردن او بانياس او في

اليرموك او في الضفة الغربية او في الحاصباني والوزاني، ومطامعها في الليطاني، هو السبب الاهم لازمة المياه في المنطقة. اما بالنسبة للنفط فيعتبره بيريس "اساس السلام" في المنطقة محاولاً تسويق دور اسرائيل كحام لممرات النفط عبر التوسع الامني–الاقتصادي في البحر الاحمر. "والملاحظ ان محور التفكير الملازم لهذه الطروحات،" يقول انعام رعد، "هو الربط في كل شيء بالنظام الاقليمي الذي تشكل اسرائيل محوره في المواصلات، في النقل، في المرافئ، في المطارات، ودمج المنطقة بحيث لا تبقى بلاد خارج هذا الربط." (29) هذه الافكار جميعها حكمت المشاريع الاسرائيلية المقدمة الى المؤتمرات الاقتصادية الشرق الاوسطية.

في معرض تقييمه لنتائج المؤتمرات الاقتصادية الشرق اوسطية: الدار البيضاء (1994)، عمان(1995)، والقاهرة (1996)، يلاحظ عبد الفتاح الجبالي ان آلية تحقيق الشرق اوسطية قد تجاوزت صيغة مدريد التي كانت تتم في اطار المفاوضات المتعددة الاطراف، اذ ان الالية الجديدة تدار عبر المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس (سويسرا) ومجلس العلاقات الخارجية الاميركية في نيويورك. وهنا تبرز السمة الاولى لهذه الآلية، وهي قياداتها عبر مؤسسات خارج المنطقة وحليفة للكيان الصهيوني. اما السمة الثانية لآلية المؤتمرات الاقتصادية فتكمن في مشاركة، الى جانب الحكومات المعنية، الكثير من رجال الاعمال، والمنظمات الدولية، ولم تعد مقصورة على ممثلي الدول، بل تضم مستويات متعددة من البلاد المشاركة إلى درجة اختلطت معها الاوراق بين السياسة والاقتصاد. (30)

لقد انطلقت فكرة المؤتمرات الاقتصادية الشرق اوسطية من فرضية اسرائيلية، كما بيّنا آنفاً من خلال قراءتنا لكتاب بيريس، مفادها ان السلام لا تصنعه اتفاقات السلام وحسب، بل يجب ان يدعمها ويرافقها شبكة من العلاقات الاقتصادية والتجارية تساهم في بناء الجسور اللازمة لعملية

التسوية. وهذا تحديداً، ما اكده منذ فترة طويلة بنيامين نتنياهو الذي رفع شعار "السلام هو الاقتصاد". (31) بمعنى آخر، ان المؤتمرات الاقتصادية استهدفت "التطبيع الذي يسبق التوقيع. بل الذي يجعل العالم العربي اسير شبكة علاقات اقتصادية حيوية مع الكيان الصهيوني، فيخضع مفاوضات الانسحاب من الاراضي المحتلة 1967 لهذه الوقائع. بعد ان اتخذ العدو من الارض المحتلة رهينته الاولى والاساسية، يتخذ من اختراقه الجسم العربي بالعلاقات الاقتصادية رهينته الثانية الاساسية لفرض سلمه على المنطقة." (32) ولقد تنبه الرئيس الراحل حافظ الاسد الى خطورة هذه المفاوضات حينما قال لجيمس بايكر قبل انعقاد مؤتمر مدريد: "كيف نناقش التعاون الاقتصادي بينما حالة الحرب لا تزال سائدة؟. هذا لم يحدث مطلقاً منذ بداية التاريخ. اذا اراد احدهم مناقشة التعاون الاقتصادي مع اسرائيل، فليفعل ذلك. الجماهير ستحاسب اي شخص كهذا." (33)

الحقيقة ان المؤتمرات الاقتصادية الشرق اوسطية حملت في طياتها مشروعاً اسرائيلياً متكاملاً وشاملاً شكلت تهديداً سافراً للامن القومي العربي. ويمكننا ملاحظة ذلك على النحو التالي:

1. اعتبرت المؤتمرات البداية للاسقاط العملي للمقاطعة العربية لاسرائيل.
2. ان فكرة الاقتصاد الاقليمي وتأسيس السوق الشرق اوسطية بالتدريج، اي فرض الوقائع الاقتصادية تدريجياً، يهدف الى الغاء مقولة صراع الوجود واستبداله بالمنافسة الاقتصادية العادية.
3. ان كل المشاريع التي تقدمت بها الحكومة الاسرائيلية تهدف الى ربط العالم العربي بشبكة الاستثمارات والاتصالات والمواصلات الاسرائيلية.
4. ان "الهجوم" الاسرائيلي تجاه السلام ليس بريئاً، بل هو مدجج بالترسانة النووية الوحيدة في المنطقة، وبأسلحة الدمار الشامل، وبصناعة عسكرية متطورة.

باختصار شديد فان السلام حسب المفهوم الاسرائيلي هو سلم اسرائيلي مسلح يسعى الى فرض هيمنته على العالم العربي وبوسائل عسكرية واقتصادية لاسقاط الحواجز التي تقوم بين المغتصب والضحية.ويقول انعام رعد في هذا الصدد انه لا يوجد اي فرق بين المشروع التلمودي لاسرائيل الكبرى والمشروع الشرق اوسطي لاسرائيل العظمى، فكلاهما "مشروعان" صهيونيان للسيطرة يهددان وجودنا بالخطر الساحق. فليس احدهما اكرم على العرب، او احدهما مشروع سلام، والآخر مشروع حرب. فالسلم الذي يفرض قيود الاذلال للكرامة والنهب للثروات وتغييب الهوية القومية هو اخطر وجوه الحرب." (34)

ان معارضتنا لمسار التسوية ورفضنا للسلم الاسرائيلي ينبعان من الحقائق التالية :

1. لم تفض المفاوضات الى قيام الدولة الفلسطينية.
2. رفضت اسرائيل في المبدأ التفاوض حول وضع القدس، او مصير اللاجئين، او التوقف عن بناء المستوطنات.
3. احكمت اسرائيل سيطرتها على مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني حيث قامت القوات الاسرائيلية بتقطيع قطاع غزة الى ثلاث مناطق، كما قسمت الضفة الغربية الى ثلاثة واربعين جزءاً حتى بدت الخارطة لتلك المناطق اشبه بجلد النمر لكثافة المستوطنات ومواقع الجيش الاسرائيلي هناك.
4. ان استمرار انتفاضة الاقصى يشكل انعكاساً واضحاً لتخلي الشعب الفلسطيني عن خيار المفاوضات.
5. لقد اثبتت تجربة المقاومة الوطنية اللبنانية ان المقاومة المسلحة هي الوسيلة الانجح لاجبار تل ابيب على الاذعان للقرارات الدولية.

اما بالنسبة للسلم الاسرائيلي المسلح فهو يتخفى وراء آلته الاقتصادية لاكمال غزوه الى داخل العقل العربي وسلب ارادته وقيمه وتراثه. فالهيمنة الاسرائيلية عبر مشروع الشرق اوسطية لا يلغي الطبيعة العنصرية للكيان الصهيوني الذي يطرح "السلام" شعاراً ويستمر في احتلاله للارض العربية منهجاً وممارسة. اما خيارنا الامثل والاسهل فهو التمسك بالرفض المطلق لصلح الاذعان واعتماد الصراع مع الصهيونية سبيلاً وحيداً للتحرير والتقدم.

المراجع

1. بنيامين نتنياهو ، مكان بين الامم ، عمان : الاهلية للنشر والتوزيع ، 1996 ، ص، 12 و 345 .
2. نظام بركات ، " الصراع العربي – الاسرائيلي منذ مدريد وحتى الآن (1998) : الجانب السياسي، " صراع القرن ...، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1999، ص، 201.
3. عدنان السيد حسين ، التسوية الصعبة ، بيروت : مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، 1998، ص، 14–15.
4. E . W. Said , The End of The peace Process, (New York : Pantheon Books, 1999), p.33.
5. علي الجرباوي ، " البعد الفلسطيني – الاسرائيلي للصراع منذ اوسلو حتى الآن (1998)،" صراع القرن ... ، المصدر السابق ، ص، 179.
6. المصدر السابق ، ص، 179.
7. المصدر السابق ، ص، 182–183.
8. المصدر السابق ، ص، 182–185.
9. S.Roy, The Gaza Strip : The Political Economy of De-development, (Washington, DC : Institute For Palestine Studies, 1995), p.326.
10. راسم خمايسي ، " اثر الاستيطان في التخطيط والتنمية في الكيان الفلسطيني ،" مجلة الدراسات الفلسطينية ، عدد 37، شتاء 1999، ص، 56–58.
11. ليلى فرسخ ، " الجدوى الاقتصادية لدولة فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة : هل هي ممكنة من دون سيادة وطنية ووحدة جغرافية ؟،" مجلة الدراسات الفلسطينية ، عدد 42 ربيع 2000، ص، 45–52.
12. انظر مجلة الدراسات الفلسطينية ، عدد 37، شتاء 1999، ص، 170–179.

13. النهار ، 2001/1/9، ص ، 1 وص، 11.
14. علي الجرباوي ،" البعد الفلسطيني – الاسرائيلي للصراع منذ اوسلو حتى الآن (1998)،" المصدر السابق، ص، 193.
15. نظام بركات، " الصراع العربي – الاسرائيلي منذ مدريد وحتى الآن (1998) : الجانب السياسي،" صراع القرن... ، المصدر السابق، ص، 201.
16. من كلمة الرئيس السوري الدكتور بشار الأسد امام القمة العربية التي عقدت في عمان في آذار 2001. انظر جريدة السفير، 2001/3/28، ص، 9.
17. المصدر السابق.
18. نظام بركات، " الصراع العربي – الاسرائيلي منذ مدريد وحتى الآن (1998)... ،" صراع القرن... ، المصدر السابق، ص، 227–228.
19. شيمون بيريس، الشرق الاوسط الجديد، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ، عمان : الاهلية للنشر والتوزيع، 1994.
20. المصدر السابق، ص، 7.
21. المصدر السابق، ص، 29.
22. المصدر السابق، ص، 31.
23. المصدر السابق، ص، 35.
24. المصدر السابق، ص، 36–39.
25. المصدر السابق، ص، 40.
26. المصدر السابق، ص، 59–60.
27. المصدر السابق، ص، 62.
28. المصدر السابق، ص، 69–196.
29. انعام رعد، الصهيونية الشرق اوسطية، المصدر السابق، ص، 159.
30. عبد الفتاح الجبالي، " المؤتمرات الاقتصادية الشرق اوسطية،" مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 30، ربيع 1997 ص، 18.
31. بنيامين نتنياهو، مكان بين الامم، المصدر السابق، الفصل

التاسع.

32. انعام رعد، الصهيونية الشرق اوسطية، المصدر السابق، ص، 221.

33. J. Baker, The Politics Of Diplomacy : Revolution, War and Peace, 1989-1992, (New York : G.P, Putnam's Sons, 1995), p.448.

34. انعام رعد، الصهيونية الشرق اوسطية، المصدر السابق، ص، 342.

خاتمة

خاتمة

في الخلاصة، ان ما رمى اليه هذا الكتاب هو تبيان المرتكزات الاساسية التي تقوم عليها الدولة العبرية فكراً ومنهجاً وممارسة. والهدف من وراء تبيان كل ذلك بعد انطلاقة عملية التسوية، هو دحض اوهام بعض العرب المهرولين للتطبيع مع الكيان الصهيوني في وجود فرصة تاريخية لتخلي هذا الكيان عن اهدافه الرئيسية في طمس هويتنا، وسلب ارادتنا، وتعطيل ادراكنا، وتشويه نظرتنا الى الله والكون والانسان. بمعنى آخر، ان المشروع الصهيوني في حال اكتمال صفقة التسوية سوف يحمل نتائج كارثية على الوضع العربي برمته. فاسرائيل، عبر ترسانتها النووية، وذراعها التكنولوجي، وحلفها العسكري مع تركيا، سوف تجعل من استثماراتها الشرق اوسطية حدودها الجديدة في قلب العالم العربي، وشبيهة تماماً بوضع المستوطنات اليهودية داخل الضفة الغربية وقطاع غزة.

ان طروحات بيريس الشرق اوسطية لا تعكس تغييراً في طبيعة واهداف الكيان الصهيوني، بل تشكل مدخلاً آخر يهدف الى السيطرة اقتصادياً على مقدرات المنطقة واستغلال اسواقها، ونهب ثرواتها وخاماتها. وتحت شعار السلام والتنمية، يحاول بيريس ان يجعل التنمية مرادفة للارتباط باسرائيل. بمعنى آخر، ان لا تنمية بدون اسرائيل، علماً ان المشاريع لا تستهدف تنمية الانتاج العربي الحقيقي، لانها تهمل الصناعة والزراعة العربيتين، وتعطي الاهتمام الاول والاساسي لمشاريع البنية التحتية والمواصلات والاتصالات، لربط المنطقة كهربائياً ومائياً وتكنولوجياً باسرائيل التي رسم دورها من خلال الاستهدافات الاميركية والشركات المتعددة الجنسيات، لتكون هي مركزُ قيام تجمعاتٍ صناعيةٍ عملاقةٍ، وانشاء شركات تكنولوجية ضخمة، يتم تحويلها من صناديق ومصارف التمويل الاميركية.

والخطير في كل ذلك هو ان تترافق الصهيونية الشرق اوسطية مع استمرار الاحتلال للاراضي العربية والتهرب من تطبيق قرارات الشرعية الدولية والتي بدورها، لا تتطابق والحد الادنى من الحقوق القومية. اننا

نرى في ضوء سياسة الابادة التي يقودها ارييل شارون ضد الشعب الفلسطيني، وبروز فشل التسوية، ان الوقت قد حان كي يعاد الى القضية اعتبارها المبدئي، على انها قضية صراع على الوجود بين حركة تحرر عربية ذات مضمون انساني ومنظمة صهيونية عنصرية ذات طبيعة واهداف معادية لابسط حقوق الانسان.

ونرى ايضاً ان السلام الحقيقي في الشرق الاوسط لن يتحقق الا بالقضاء التام على الكيان الصهيوني المغتصب للارض القومية. وللوصول الى ذلك لا بد من خطة معاكسة يكون من اولوياتها بناء الانسان الواعي لحقيقة الصراع. فالبندقية الواعية هي التي تعرف اين توجه طلقاتها صوب عدو متفوق عدة وتكنولوجيا. بمعنى اوضح وادق، "ان وعي القضية هو المدخل الى الصراع في سبيلها."

اولاً– وعي طبيعة العدو واهدافه:

1. تشكل اسرائيل كياناً استعمارياً استيطانياً عنصرياً توسعياً زرع بالقوة والعنف على حساب اصحاب الارض الاصليين.
2. يحاول الصهاينة احتكار دور الضحية لليهود وحدهم دون غيرهم من الجماعات او الاقليات او الشعوب، حيث يصورون الابادة النازية باعتبارها جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم. لهذا يرفض الصهاينة اية محاولة لرؤية الابادة النازية كتعبير عن خط تاريخي عام يتجاوز الحالة النازية والحالة اليهودية. كما يرفض الصهاينة محاولة مقارنة ما حدث لليهود وللمسيحيين على يد النازيين بما يحدث للعرب على ايديهم.
3. المشروع الصهيوني هو جزء لا يتجزأ من التشكيل الاستعماري الاستيطاني في الغرب، والذي ما كان بمقدوره ان يتحقق دون امكانيات وطموحات وآليات الامبريالية الغربية. فالصهيونية كحركة سياسية لها ارتباطاتها الدولية، ومادتها الاساسية هي الجماعات اليهودية المنتشرة في العالم، هدفها الاساسي الذي نجحت في تحقيقه بنسبة عالية هو اقامة الدولة اليهودية التي

شكلت فلسطين قاعدتها لا حدودها، لان حدودها هي داخل اطار التصور الديني الصهيوني من الفرات الى النيل.

4. ليس صحيحاً ان الشرق اوسطية تحمل السلام والازدهار والخبرة والتقانة الى منطقة متخلفة. بل على العكس من ذلك، الشرق اوسطية هي امتداد للمشروع الصهيوني الاساسي الهادف الى الغاء كل ما هو عربي: رابطة وجامعة وسوقاً وامناً. فاسرائيل لم تمانع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية مشترطة في ذلك تخلي المنظمة عن ميثاقها واهدافها الوطنية. وعليه، فاسرائيل لن تمانع في دخول جامعة الدول العربية شرط الغاء اسمها وميثاقها وقرارات مؤتمرات القمم العربية. فالشرق اوسطية تمثل تسويقاً جديداً لنهج اسرائيلي ثابت في فتح المنطقة امام المشروعات والسلع الاسرائيلية.

ثانياً– وعي حقيقة الامة واهدافها:

1. ان التلمود والتراث اليهودي الديني هما اساس الفكرة العنصرية الصهيونية التي شكلت وتشكل خطراً على المسيحية والمحمدية. فعبر طرح شعار "ارض الميعاد"، جعلت الصهيونية من الله، الذي هو المحبة في المسيحية والرحمن الرحيم في المحمدية، سمسار اراض ينصر فئة عنصرية حاقدة تريد تدمير كل ما عداها من الشعوب والامم.
2. ان جزءاً كبيراً من الهزيمة العربية امام المشروع الصهيوني يعود الى جملة من المواقف الارتجالية التي سبقت واعقبت قيام دولة اسرائيل. بمعنى اكثر دقة، ان هزيمة العرب في فلسطين تعود الى عدم ادراكهم لمقولة ان الحياة صراع، وبأن الانتصار في الصراع مع الصهيونية يتطلب خططاً وارادة وابحاثاً استراتيجية. فالحرب الطاحنة التي دارت على ارض لبنان كانت نتيجة لعدم نضوج المشروع القومي العربي على الساحة اللبنانية. من هنا نستخلص ان الحرب الاسرائيلية على لبنان هدفت لقتل روح التضامن العربية، والتي بانت بشائرها خلال حرب تشرين

التحريرية عام 1973. فلا عجب اذاً في القول ان المأساة اللبنانية وما افرزته من نتائج كارثية على مجمل الموقف العربي كانت المقدمة العملية لكل الاتفاقات المنفردة بين بعض العرب والكيان الصهيوني.

3. لقد اثبتت التجربة انه من السهل صنع السلام مع اليهود اذا تم التفريط بالحقوق القومية. فاعتراف مصر بالكيان الصهيوني عام 1978 سمحت لهذا الاخير بالتوسع شمالاً واحتلال قسم من جنوب لبنان. كما ان اسرائيل لم تتردد في التوقيع على اتفاق اوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية عام 1993 عندما تخلت هذه الاخيرة، عن قصد او غير قصد، عن الحقوق الوطنية الفلسطينية لقاء حصولها على بعض السلطات المدنية المحدودة في بعض مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة. اما على الطرف الاخر، فان العمل القومي اثبت انه المدخل الحقيقي الى الانقاذ تماماً كما حصل في لبنان عندما اندحر الجيش الاسرائيلي من جنوبه في ايار 2000 على صخرة التلاحم اللبناني–السوري. نبقى في دائرة الموقف القومي لنشير الى ان الرئيس الراحل حافظ الاسد رفض في قمة جنيف التي جمعته مع الرئيس الاميركي بيل كلنتون في 2000/3/26 عرضاً اسرائيلياً يتضمن تعديلاً ما على خط الرابع من حزيران، مما يعطي اسرائيل سيطرة كاملة على بحيرة طبريا وشاطئها كله. ورد الرئيس الاسد موضحاً انه لا يطلب اكثر مما كانت تسيطر عليه سوريا قبل حرب 1967، واعاد الى الذاكرة كيف انه كان يسبح في البحيرة ويشوي السمك على ضفافها عندما كان فتى. (1) وفهم الرئيس كلنتون ان الرئيس الاسد لن يتخلى عن موضوع السيادة على البحيرة، لذلك نَقل رغبة اسرائيل في الاحتفاظ بالسيادة الكاملة على مياه نهر الاردن والروافد الاخرى التي تصب في البحيرة من الجولان. عندها رد الرئيس الاسد بشكل حاسم ومقتضب جداً: "اذاً، لا سلام." (2) وهكذا يبدو انه مع الرئيس الاسد ليس

هناك هامش للمناورة والمساومة على الحقوق الوطنية – فاما كل شيء او لا شيء.

4. ان عمق المواجهة مع العدو الصهيوني، وتشعبها، وشراستها تفرض على كل الملتزمين بالفكر القومي وعلى مستوياته كافةً تحديد خياراتهم الاستراتيجية، وتوحيد جهودهم النضالية من اجل دفع حركة الثورة القومية الى الامام. فبين العقيدة القومية الاجتماعية والعقيدة القومية العربية الشاملة هناك خطوة لا بد من القيام بها من هذا الجانب او ذاك اذا ما اردنا لهذه الامة امتلاك القدرة التي تمكنها من مواجهة التحديات الكبرى التي تعترض طريق انبعاثها ونهوضها من جديد. (3) ويبدو، على الاقل من الناحية النظرية، ان الخلاف العقائدي بين الفكرتين القوميتين هو حول السبيل الانجح لتحقيق الوحدة وصيانة العروبة، وليس على الوحدة ولا على العروبة. وعليه، فمن الممكن للوحدة السورية والوحدة العربية ان تتكاملا لانهما تشكلان معاً النقيض للمشروع الصهيوني.

ثالثاً– في استنهاض الخطاب الثقافي العربي:

من المفيد ان يشن الهجوم المعاكس على الخطة الصهيونية من نقاط متعددة، ابرزها العمل على تعبئة الجماهير لمقاومة التطبيع والسلم الاسرائيلي. وانه لمن الواجب القيام بما يلي:

1. انشاء مراكز ابحاث استراتيجية في الجامعات العربية مهمتها وضع الدراسات والخطط التنموية المساعدة على الصمود بشكل يتناسب وقدراتنا الذاتية. فما نفتقر اليه، يقول ميشال اده، "هو توفير الاطر والمناخات الملائمة للبحث العلمي الجامعي، وتوفير المناخ التعاوني الواجب قيامه بين مختلف قطاعات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، وحفز المواطن العربي على العطاء العلمي، واحترام هذا العطاء وتقديره." (4)

2. العمل على توسيع هامش الحرية الفكرية لاستكمال مسيرة الصراع مع العدو الصهيوني، حتى لا يسقط المثقفون تحت شعار :"لا صوت يعلو فوق صوت التسوية."
3. تحديد قواعد واسس المشروع القومي العربي البديل للمشروع الصهيوني، والقادر على احتواء اليهود المقيمين في العالم العربي انطلاقاً من المخزون الانساني لهذا المشروع. فموقفنا النهائي من اليهود، سواء إعتبروا انفسهم صهاينة أم لا، يتحدد بناءً على تسليمهم بحقنا القومي في فلسطين.
4. العمل على الاستفادة من تجربة الشعب المصري الناجحة في مقاومة التطبيع الثقافي والاقتصادي مع الكيان الصهيوني بالرغم من السلام الرسمي القائم بين القاهرة وتل ابيب.

رابعاً– على الصعيد الرسمي العربي:

ان الخطر الصهيوني يحتم على الحكومات العربية العمل على بناء الشراكة الامنية والاقتصادية داخل العالم العربي قبل اقامتها منفردة مع الاتحاد الاوروبي. من هذا المنطلق ندعو الى ما يلي:

1. اقامة منظومة امنية اقليمية عربية. والهدف الاساسي من اقامة هذه المنظومة هو تأمين امن المواطن العربي وتأمين امن اقطاره من داخل النظام العربي بدلاً من استيراد بعض الاقطار العربية لامنها من الخارج لقاء تكلفة اقتصادية وسياسية باهظة.
2. انشاء سوق عربية مشتركة. وتستند هذه القضية الى ثلاث مسائل رئيسة:
   أ. الهوية والانتماء القومي.
   ب. ضرورات دعم الأمن الاقتصادي العربي.
   ج. المصلحة الاقتصادية المشتركة.

ولتحقيق كل ذلك، نطرح ما يلي:

أنه لا لتسوية تشرعن المخالفة، والتنازل عن الحقوق الوطنية والقومية للشعب الفلسطيني وللأمة العربية .

ولا لسلم اسرائيلي مسلح.

ونعم لاستمرار الصراع حتى التطبيق الكامل لمبادئ الشرعية القومية القائمة على مبدأ الأرض، كل الأرض، مقابل السلام العادل والشامل لكل المنطقة.

المراجع

1. باتريك سيل، "نعي المسار السوري،" الحياة، 9 ايار 2000، ص، 9.
2. المصدر السابق.
3. خضر خضر، "من اجل دفع حركة الثورة القومية الى الامام،" صباح الخير–البناء، عدد 1018، 2000/4/15، ص، 30–31.
4. ميشال اده، "البحث العلمي في النزاع العربي–الاسرائيلي،" النهار 2000/11/18، ص، 15.

مصادر ومراجع

مراجع عربية

- المسيري، عبدالوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة: دار الشروق، 1999.
- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، صراع القرن.....، بيروت، 1999.
- التونسي ، موسى، وثائق التدخل الاجنبي في الوطن العربي ، الجزء الاول ، دمشق : دار البعث للصحافة والطباعة والنشر ،1972 .
- بيريس، شمعون، الشرق الاوسط الجديد، عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، 1994.
- جمال مصطفى، هاني عبدالله ونهاد حشيشو، اسرائيل في ظل حكومة بيغن الثانية، بيروت: معهد الانماء العربي، 1982.
- جمالو، علي، ثرثرة فوق الفرات، بيروت: دار رياض الريس للنشر، 1996.
- حسين، عد نان السيد، الانتفاضة وتقرير المصير، بيروت: دار النفائس، 1992.
- حسين، عدنان السيد، التسوية الصعبة، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، 1998.
- خضر، خضر، مفاهيم اساسية في علم السياسة، طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، 1999.
- رعد، انعام، الصهيونية الشرق اوسطية من هرتزل الى بيريز الى النفق والخطة المعاكسة، بيروت: شركة المطبوعات للطباعة والنشر، 1997.
- شرارة، بلال، قانا واخواتها، بيروت : عالم الفكر، 1996.

❖ عبد الغني ، عبد الرحمن ، المانيا النازية وفلسطين : 1933-1945 ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1995 .
❖ غارودي، روجيه، الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، دمشق: دار عطية، 1996.
❖ مقار، شفيق، المسيحية والتوراة، لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 1992.
❖ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، حرب الايام السبعة على لبنان، بيروت، 1993.
❖ ملف النهار، من عناقيد الغضب الى سقوط بيريس، 1996.
❖ مركز دراسات الوحدة العربية، العلاقات العربية– التركية: حوار مستقبلي، بيروت، 1995.
❖ نتنياهو، بنيامين، مكان بين الامم، عمان: الاهلية للنشر والتوزيع، 1996.

مراجع اجنبية

* Art, R et al, (eds.), Recognizing America's Defense Leadership In War and Peace, (Washington: Perganon Brassey's, 1985).
* Brecher, M, The Foreign Policy System of Israel, (London: Oxford university Press, 1972).
* Ball, G, Error and Betrayel In Lebanon, (Washington D.C, Foundation For Middle East Peace, 1984).
* Ben-Horin, Y and Posen, B, Israel's Strtegic Doctrine, (Washington DC: Office of the Secretary of Defence, 1981).
* Baker, J, The Politics of Diplomacy: Revolution, War and Peace, 1989-1993, (New York: G. P, Puttnam's Sons, 1995).
* Clutterbuck, R, Terrorism in an Unstable World, (New York: Routledge, 1994).

* Friedman, T, From Beirut To Jerusalem, (New York: Farrah Straus Giroux, 1989).
* Hoy, C and Ostrovsky, V, By Way of Deception, (Toronto: Stoddard, 1990).
* Jonas, G, Vengeance, (Collins: Lester and Orpen Dennys, 1984).
* O' Brian, C, The Siege: The Saga of Israel and Zionism, (New York: Simon and Schuster, 1981). Peri, Y, Between Battles and Bullets, (Cambridge University Press, 1986).
* Peres, S, Battling for Peace, (New York: Random House, 1995).
* Reich, B, Securing the Convenant: United States-Israel Relations after the Cold War, (London: Praeger, 1995).
* Roy, S, The Gaza Strip: The Political Economy of De-development, (Washington DC: Institute For Palestine Studies, 1995).
* Safran, N, Israel: The Embattled Ally, (Cambrige: The Belknap Press, 1978).
* Schiff, Z, A History of the Israeli Army, (London: Sidgwick and Jackson, 1981).
* Schiff, Z and Ya' ari, E, Israel's Lebanon War, (New York: Simon and Schuster, 1984).
* Seale, P, Asad: The Struggle for the Middle East, (New Haven: Yale University Press, 1986).
* Schechterm, B and Slamm, M,(ed.), Violence and Terrorism, (Guilford: The Dushkin Publishing Group, Inc. , 1993).
* Said, E, The End of the Peace Precess, (New York: Pantheon Books, 1999).

* Weizman, C, Trial and Error, (London: Harper and Brothers, 1949).
* Woodward, B, Veil: The Secret Wars of The CIA 1981-1987, (New York: Simon and Schuster, 1987).

دوريات عربية

❖ اتجاه، بيروت، عدد 5 ، 1997.
❖ الدفاع الوطني، بيروت، عدد 22،1997.
❖ دراسات استراتيجية، ابو ظبي، عدد 6 ، 1996.
❖ شؤون تركيا، بيروت، اعداد 10، 12، (1994).
❖ صباح الخير – البناء، عدد 1018، 2000/4/15.
❖ صحيفة النهار، بيروت، اعداد 26 /1996/3. 1996/4/9.
1998/2/7. 1998/7/15. 1999/9/14. 1999/9/21.1999/6/1/ 2000
2000/1/9. 2000/11/18.
❖ مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، اعداد: 30(1997)، 37، 38
39(1999). 42(2000).

دوريات اجنبية

* American Political Science Review, Vol: 83, No:2, 1989.
* Defense and Diplomacy, Vol: 6, No: 6, 1988.
* Foreign Affairs, Vol: 75, No: 5, 1996.
* Foreign Policy, Winter 1995-1996.
* The Globe and Mail. 8-1-1988. 18-6-1988.
* The International Institute For Strategic Studies, The
* Military Balance 1996.

المؤلف

* كاتب لبناني.
* عضو اتحاد الكتاب اللبنانيين.
* عضو في مركز الدراسات الخارجية، جامعة دلهوزي ، كندا.
* حائز على شهادة Ph.D في العلوم السياسية .
* أستاذ في كلية الحقوق والعلوم السياسية – الجامعة اللبنانية.
* أستاذ محاضر في كلية القيادة والاركان للجيش اللبناني.

من مؤلفاته:

* Naval Confidence - Building In The Middle East (1996).
* دراسات في الإنماء والتطور، مشترك ، (1997).
* من النمو والتنمية الى العولمة والغات ، مشترك ، (2000).
* له دراسات منشورة في العديد من الدوريات والصحف الاجنبية والعربية.